السبهللة باطهلبية

مجموعة قصصية ساخرة

الكاتب

أحمد الكاشف

اسم الكتاب : السبهللة بالمهلبية

اسم الكاتب : أحمد الكاشف

تصميم الغلاف : مي مجدي

تنسيق : نورهان هاني

رقم الإيداع : ٢٠٢٤/٣٢٩٤٨م

الترقيم الدولي : ٨-٦٤-٨٧٩١-٩٧٧-٩٧٨

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

السبهللة باطهلبية

مؤسسة الكاتب العربي
The Writer Operation

مقدمة

لا أدري على وجه التحديد إن كانت كلمة السبهللة هي اسم مكان أو اسم زمان أو اسم فاعل أو اسم مفعول. ويمكن القول إن كلمة السبهللة هي كلمةٌ دخيلةٌ على قاموس اللغة العامية المصرية، وهي كلمةٌ مشتقَّةٌ من الفعل "سبهلل" أو "استهبل" والذي يعني ادعاء الهبل والإمعان فيه بطريقةٍ مفرطةٍ لا ضابطَ فيها ولا رابط. ومن هنا نصل إلى أن مرادف "استهبل" هو "استنطع" أو "ساق الهبل على الشيطنة". ولقد استعاض علماء اللغة الحديثة عن هذه الكلمة بمجموعةٍ أخرى من الكلمات الأكثر دقةً مثل "تشبحن" أو "تبرشط" أو "تفزلك" أو "اشتغل في الأزرق" أو "تنطَّع" وغير ذلك من معانٍ رديئة، كما اقترنَت هذه الكلمة بمجموعةٍ من الصفات مثل "الفهلوة" و"الأونطة" و"الحبرشة" و"الحنكشة".

ومما لا شك فيه أن هذا الشخص المستهبل ينشأ في بيئةٍ عامرةٍ بالفساد والخداع والغش والنفاق والكذب وانعدام الضمير، وعلى هذا الأساس كان من المفترض اعتبار هذا الشخص المستهبل شخصًا حقيرا، ولكن حدث ما لا يُحمد عقباه من تبدُّلٍ وتبوُّلٍ لاإراديٍّ للمعايير والقيم، وصار هذا الحقير في نظر الناس بطلًا مغوارًا يطلقون عليه صفاتٍ ومسمَّياتٍ عجيبةً وغريبةً مثل "الشبح" أو "الشِّوح" أو "البرنس في نفسه" أو "الأصلي" أو "البوابة" أو "الإوِر" أو "الأسطورة" أو "الشقي" أو "العدالة". وقد أدت حالة الانحطاط الملحوظ في مجتمعاتنا إلى زيادة معدلات السبهللة في السنوات الأخيرة، مما أدَّى إلى انحدار الأخلاق والمعايير، وأصبحَت تلك المعاني الحقيرة بمثابة

هدفٍ أسمى يتطلَّع إليه الأطفال والشباب من كل فئات المجتمع. ولذا وجب علينا التنويه عن خطورة السبهللة على الفرد والمجتمع في المستقبل القريب والبعيد.

ولقد احتار العلماء فيما بينهم حول إيجاد تفسيرٍ ملائمٍ لظاهرة السبهللة؛ حيث يرى علماء الأنثروبولولوجيا هذا السلوك نابعًا من منطقة العقل الفاسد والتي تقع عند تقاطع محور المخيخ الدائري مع أسفل منتصف الفص الأيمن داخل مخ الإنسان، ويرى علماء البسيساكولولوجيا أن الشخص الذي يقوم بهذا السلوك يكون محمَّلًا في عقله الباطل بدوافع الوصول إلى أحد أهدافه المنشودة عن طريق هدم تابوهات القيم لدى الآخرين، بينما يرى علماء البيولولوبيا أن الشخص ذا السبهللة قد توارثها عن أحد أسلافه وأن هذا السلوك قد ينتقل عبر الأجيال من خلال شريط الDDT ليكوِّن مجموعةً من الجينات المهيمنة على سائر الصفات الشخصية المكتسَبة، أما علماء الميثولولوجيا فيرجِّحون أن السبهللة قد ورد ذكرها في ملحمة جلجامش عندما كانت عشتار "عشطانة" فشربَت بعد صيامٍ متواصلٍ لمدة مائة ألف سنة، وعندما رآها الجنود قالوا لها: "هي سبهللة يا روح طنط؟"، ويتفق علماء الجيولولوجيا والإيكولولوجيا والميتولولوجيا على أن السبهللة قد تولَّدَت من خلال الأبخرة المتصاعدة من الحمم البركانية أثناء العصر الكريتاسي الأول ونتج عن ذلك غاز أول أكسيد السبهلازيوم والذي تسرَّب بدوره إلى الغدد الليمفاوية وتخمَّر في داخل المصران الغليظ حتى أنتج الجين الأناني الذي تحوَّل فيما بعد إلى جين السبهللة.

وبعد عدة سنواتٍ من الدراسة والتمحيص في هذا المجال من الدراسات المتعفِّنة توصَّلتُ أخيرًا لتعريفٍ ملائمٍ للفظ السبهللة، ألا وهو مجموعةٌ من السلوكيات السلبية التي تصيب المجتمع وتتوارثها الأجيال، ثم تتحوَّل تلك السلوكيات إلى سماتٍ شخصيةٍ سائدةٍ وصفاتٍ طبيعيةٍ يعتاد عليها الناس ولا ينفرون منها. ويمكننا أن نستخلص من التعريف السابق أن الصفات المتوارَثة عن طريق الأحماض الأمينية وغير الأمينية داخل الشريط الساحلي لجزيء الDNA كالبخل والكذب والكبر والمكر والغرور لا تندرج تحت مظلة السبهللة؛ لأن هذه الصفات لا زالت تُعَدُّ ضمن الصفات الفردية ولم ترقَ بعد إلى منزلة الصفات السائدة.

إن للسبهللة أنواعًا وأشكالًا كثيرةً لا تُعَدُّ ولا تُحصى، لذا أردتُ أن أعرض على حضرات السادة القراء بعض هذه الأنواع التي تصيب الإنسان وأشباه الإنسان. ولقد أسميتُ كل قصةٍ باسم صاحبها من أجل تخليد تلك الأسماء الوهمية في سجلَّات القمامة الدنيوية ولوحات القرف. ومن هذا المنطلق البائس ومن خلال موقعي هذا فوق السرير ذي المرتبة الإسفنجية، قرَّرتُ أن أقوم بترشيح هذه الأسماء كي تتقلَّد أرفع أوسمة الخزي ونياشين العار فوق جبين أصحابها، كما أناشد السادة المسئولين في مشارق الأرض ومغاربها بأن يشيِّدوا لهؤلاء السبهلليين تماثيل من الخراء المتصلِّب تخليدًا لإسهاماتهم وإسهالاتهم غير المحدودة من أجل رفع شأن كل مجالٍ من مجالات السبهللة في العالم.

وفي هذه المجموعة من المسرحيات القصيرة الساخرة أردتُ استعراض بعض مظاهر السبهللة التي نشهد أصداءها في حياتنا اليومية دون المساس بأي أحد؛ حيث إن جميع الشخصيات التي وردَت بهذه المجموعة القصصية هي من وحي خيالي الخاص ولا وجودَ لها في الواقع من قريبٍ أو بعيد. وقبل أن أنهي هذا التمهيد المقتضَب أودُّ التنويه إلى أن اقتران اسم الكتاب بالمهلبية ليس به أي إساءة لمحلَّات الكشري ومنتجات الألبان والسوبر ماركت، وإنما جاء ذكر المهلبية كمحاولةٍ يائسةٍ من أجل تجميل هذه الظاهرة بما تحمله من عوالق خروية وترسُّباتٍ كبريتية لا حصرَ لها. و من ناحيةٍ أخرى أردتُ إبراز الدور الحيوي الذي تلعبه المهلبية في حياتنا اليومية والذي لا يقل بأي وجهٍ من الوجوه عن أهمية المسقعة أو الكوسة أو الملوخية.

ويأتي واحدٌ من الناس المتحذلقين ويقول لي: "ولماذا قمت بتسمية هؤلاء المستهبلين بأسمائهم الثلاثية يا رجل؟ أتريد أن تفضح اللي جابوهم؟ ثكلتكَ أمك يا روح امك"! حسنًا سأجاوبك بدون شتائم: الموضوع باختصار أن الأسماء الثلاثية تكون مرتبطةً عادةً بالوراثة؛ فمثلًا الاسم الثلاثي لأحد الفنانين يوحي بأنه قد توارث مهنة الفن عن أبيه، وكذلك عندما نسير في أحد الشوارع ونجد لافتةً لطبيبٍ باسم الدكتور إبراهيم محمد نوفالجين نستنتج على الفور أن هذا الطبيب هو ابن الدكتور المعروف محمد نوفالجين، وعندما نجد اللافتة مكتوبٌ عليها مكتب المهندس رؤوف زكي شرحبيل نستنتج أن هذا الباشمهندس هو ابن المهندس الكبير زكي شرحبيل. وعلى هذا الأساس قرَّرتُ أن تكون أسماء الشخصيات المحورية أسماءً ثلاثيةً من أجل إثبات ديناميكية السبهللة في أضلاع الفراغ الكهرومغناطيسي وكذلك ترسيخ مبدأ توارث السبهللة الشاملة جيلًا بعد جيلٍ بعد جيل.

وإليكم قائمةٌ بهذه الأسماء ونوع السبهللة لدى كلٍّ منهم ممن اخترتُهم بعنايةٍ فائقة، على سبيل المثال لا الحصر من ضمن جموع المستهبلين والمستهبلات الأحياء منهم والأموات، كما هو موضَّحٌ لحضراتكم في الجدول التالي :

م	الاسم	نوع السبهللة
١	الدكتور فولهامي سمير فولهامي	الواسطة
٢	الحاجة نظيرة بهجت أبو العيون	الحسد
٣	مروان شوكت المانسترلي ورونا عطية طنابيش	الوَطَليان
٤	أشرف بربور البرتغالي	السرقة
٥	الدكتورة نهاد فوزي بلطيم	الجشع
٦	الشيخ منصور ضياز طوسون	الدجل
٧	الفنان أمير شامل شلاطة	الإسفاف
٨	مدام عفاف بسيوني العِكِن	الكهن
9	المتر باسم كباكا البتنجاني	التدليس

أحمد الكاشف

الدكتور

فولهامي سمير فولهامي

في أحد أروقة الحرم الجامعيّ، وتحديدًا داخل مبنى كلية العلوم بجامعة شبراخيت أقبل شابٌّ في مقتبل عمره وهو يرتدي نظارةً طبيةً عريضة الأضلاع ذات إطارٍ مذهَّب، وبدت ملابسه رثةً وقديمة الطراز وفضفاضةً إلى حد كبير، توحي بأنه قد توارثها عن أبيه أو جده. وهذا الشاب هو مثالٌ للشباب الكادح الذي ترك ملذات الدنيا حبًّا في العلم والتعليم، معتقدًا أن العلم في بلادنا سلاحٌ جبارٌ وفتاكٌ في يد صاحبه. لقد أنهى ذلك الشاب الذي يُدعى حسين عبد الصمد دراسته الجامعية بكلية العلوم قسم الحشرات منذ أربعة أشهر. وقد حصل حسين على تقدير تراكمي امتياز مع مرتبة الشرف، بل إن حسين كان الأول على دفعته طيلة سنوات دراسته بالجامعة. أما عن هوايته المفضَّلة فهي مراقبة دورة تناسل الديدان الرخوية في فصل الشتاء، ولذلك فضَّل حسين الالتحاق بكلية العلوم قسم الحشرات نظرًا لشغفه الشديد بالحشرات خاصةً دودة الزيستافا التي تعيش بالقارة القطبية الجنوبية وضواحيها.

توقَّف حسين أمام الرواق المؤدِّي لغرف المكاتب الخاصة بأعضاء هيئة التدريس بالكلية. أخذ شهيقًا محمَّلًا بعبق المكان وهمَّ أن يطرق أحد الأبواب حتى يستأذن بالدخول، ولكن الفرَّاش المرابط على كرسيه الخشبيّ المكسور استوقفه، وقد ظهر فجأةً من الركن البعيد الهادئ من الرواق. ارتعد حسين من رؤية الفرَّاش كأنه رأى عفريتًا ممتثِّلًا في وجه عم دردیري الفرَّاش الذي كانت له هيبةٌ وسط الطلاب تفوق هيبة رئيس الجامعة نفسه. وكان عم دردیري شيخًا كبيرًا تخطَّى سن المعاش، ولكنه ما زال يكافح بضراوةٍ لمواجهة

متاعب الحياة؛ حيث إنه كان يبيع سندويتشات الحلاوة والجبنة والمربى الحمضانة للطلبة، كما أنه استولى على إحدى ماكينات التصوير التابعة للجامعة من أجل تصوير أوراق المحاضرات ومن ثَمَّ بيعها للطلبة بأضعاف تكلفتها الفعلية. وكان عم دردير الفرَّاش حليق الرأس ويرتدي زيًّا باللون الأصفر لم يغيِّره ولم يغسله منذ أن تمَّ تعيينه بالكلية في عام ١٩٧٧. نادى الفرَّاش على حسين وهو يهرول ناحيته.

دردير: أؤمر يا أستاذ، خير فيه حاجة؟

حسين: إنت مش فاكرني يا عم دردير؟ أنا حسين... حسين عبد الصمد اللي كنت طالب هنا في الكلية واتخرجت من كام شهر.

دردير: ألف مبروك يا سيدي. أي خدمة؟

حسين: أنا جاي علشان اقابل الدكتور فولهامي.

دردير: إنت بقى يا شاطر عاوز تقابل الداكتور فولهامي سمير رئيس القسم والا الداكتور وائل فولهامي سمير نائب رئيس القسم؟

حسين: لأ، انا عاوز اقابل الدكتور فولهامي سمير رئيس قسم الحشرات الاستوائية.

دردير: فيه ميعاد مع الداكتور؟

حسين: لأ، الحقيقة ما فيش.

دردير: طب انت جاي له بخصوص إيه؟

حسين: أصل انا يا عم دردير عقبال عندك كنت الأول على دفعتي، بس ما لقيتش اسمي في كشف المعيدين ولا اتبعت لي جواب تعيين من الكلية لغاية دلوقتي.

دردیري: معلش يا ابني كل تأخيرة وفيها خيرة ويا بخت من بات مظلوم ولا باتش ظالم.

حسين: ينفع أخش له بقى؟

دردیري: لأ، ما ينفعش دلوقتي؛ الداكتور مشغول.

حسين: لازم عنده اجتماع مع الدكتور فاروق دبَّانة عميد الكلية.

دردیري: لأ، فيه عنده واحدة مازمازيل إنما إيه، زي لهطة البقلاوة.

حسين: بقلاوة ازاي مش فاهم؟

دردیري: أول ما تخلَّص هادخَّلك بعديها على طول.

حسين: ماشي.

وداخل المكتب جلس الدكتور فولهامي سمير فولهامي رئيس قسم الحشرات بكلية العلوم على طرف كرسي مكتبه وقد جلسَت أمامه فتاةٌ سمراء صبغَت شعرها باللون الأصفر وترتدي ملابس ضيقةً بلون جلد النمر الآسيويّ، وقد زيَّنَت وجهها قبل أن تخرج من بيتها بكل مساحيق التجميل المتاحة بالأسواق. أما الدكتور فولهامي فقد كان رجلًا بدينًا أصلع الرأس، وهو في منتصف عقده السادس، وكان يرتدي بذلةً زرقاء ومن تحتها قميصًا أصفر وكرافتة تجمع الكثير من ألوان الطيف المتداخلة. نظرَت الفتاة باتجاه السقف وهي تتأفَّف من الضيق بسبب نظرات الشبق التي يطلقها الدكتور فولهامي من تحت نظارته الطبية ذات العدسات العسلية، ثم بدأ الحوار مع الفتاة ليقطع حالة الملل التي غمرَت المكتب.

فولهامي: معقولة؟ مش ممكن! أنا مش مصدَّق نفسي! أنا قاعد دلوقتي مع الفنانة الاستعراضية سونيا دبوس بنت اخت مرات خالة الفنان الكبير شوقي درفيل.

سونيا: ميرسيخ يا دوك.

فولهامي: والله ولا ليكي عليَّا حلفان أنا واولادي حافظين كل أغاني موسيقار الأجيال الفنان شوقي درفيل خصوصًا أغنيته الأخيرة اللي مكسَّرة الدنيا وبيقول فيها: "آه يا بت يا كيوت، تلبسي مايوه ألبس كلوت". يا سلام، أهو دا الطرب الأصيل.

سونيا: بليز يا دكتور خلِّصني علشان مش فاضية خالص؛ عندي نمرة في الكباريه ولازم ابقى جاهزة دلوقتي.

فولهامي: أهو أنتم كدا يا فنانين وقتكم ضيق، ولبسكم كمان.

سونيا: وبعدين بقى؟

فولهامي: خلاص انتي بس قولي لي مشكلتك إيه وانا أحلها فورًا.

سونيا: يرضيك يا دكتور اني أطلع سنة تانية وانا شايلة مادتين؟

فولهامي: لأ طبعًا، ما يرضينيش. دا احنا نقفل لك الكلية كلها من بابها ولا إنك تزعلي مننا يا فنانة.

سونيا: أنا مش عارفة أودِّي وشي فين من زمايلي في الكباريه لما يعرفوا اني شايلة مادتين.

فولهامي: دي أكيد غلطة. وعمومًا انا معايا كشف الأسماء اهو، والغلط يتصلَّح. إنتي إسمك إيه بالكامل؟

سونيا: زنوبة جدعون الصُّرَماتي (بصوتٍ متحشرجٍ من شدة الخجل).

فولهامي: زنوبة؟ أمَّال مين سونيا؟ لازم إسم الشهرة بقى.

سونيا: أيوه هو كدا فعلًا. إنت لماح قوي يا دوك.

فولهامي: وابن بلد واعجبك قوي. إيه دا؟ إنتي ما حضرتيش امتحان الفاينال في مادة الفطريات ومادة بسيكولوجيا العقارب.

سونيا: كان عندي أوردر خليجي، وبعدين هو انا لازم يعني أحضر كل الامتحانات؟

فولهامي: لأ طبعًا، مش لازم. إحنا عندنا نظر وبنقدَّر المواهب.

سونيا: يعني هتقدر تساعدني يا دوك؟

فولهامي: شوفي يا سونيا يا حبيبتي أنا مش عاوزك تقلقي من أي حاجة؛ أصل انا ما يخلَّصنيش ان واحدة بالإمكانيات دي تسقط والا تجيب درجات وحشة، لكن ضميري المهني بيحتِّم عليَّا اني لازم امتحنك شفوي.

سونيا: يعني إيه شفوي؟

فولهامي: ما تخافيش قوي كدا؛ أنا هاسألك كام سؤال علشان اتأكد بنفسي إنك مذاكرة كويس.

سونيا: بس إوعى تكون أسئلتك صعبة عليَّا يا دكترة.

فولهامي: أنا أسئلتي كلها لولبية زي رقصك تمام.

سونيا: إنت هتسأل في الرقص؟

فولهامي: لأ طبعًا في المنهج. يا ترى مذاكرة؟

سونيا: لأ.

فولهامي: السؤال الأول: رقم تليفونك المحمول كام؟

سونيا: أهو انا بقى ما كنتش خايفة غير من شقاوتك دي يا دكتور فولهامي.

فولهامي: قولي لي يا فوفو.

سونيا: وبعدين معاك يا فوفو؟ أنا شكلي هاحبك والا إيه؟

فولهامي: أنا طول عمري شقي ومدوِّب قلوب العذارى.

سونيا: لأ، دا انا كدا أعزمك عندي في الكباريه بقى علشان تتشاق براحتك.

فولهامي: حيث كدا يبقى ما لوش لازمة السؤال التاني ولا الثالث ونقول: مبروك النجاح.

سونيا: الله يبارك فيك يا دكتور (ثم قامت للانصراف وقبل أن تفتح الباب استدارت والتفتَت إليه لتجده يتابع خطواتها، فنظرَت إليه مبتسمةً وغمزَت له بعينها) هاستناك الليلة، إوعى تتأخر يا فوفو.

وبمجرد خروج الفتاة من مكتب الدكتور فولهامي أخرجَت من حقيبتها ورقةً نقديةً من فئة المائتين جنيه وأعطتها لعم دردير الفرَّاش.

سونيا: امسك دول علشانك يا دكروري؛ حلاوة النجاح.

دردیري: اسمي دردیري يا داكتورة... خدَّامك دردیري... ربنا يعلّي مراتبك كمان وكمان وعقبال ما نشرب شربات الشهادة الكبيرة ونشوفك كدا واخدة الدكترة والمسخرة.

سونيا: يسمع من بقك ربنا (ثم اتجهَت بناظريها تجاه حسين الذي كان واقفًا بالقرب منهما وأخرجَت من حقيبة يدها ورقةً نقديةً أخرى من فئة المائة جنيه.

سونيا: خد يا اسمك إيه انت.

حسين (ناظرًا إليها في ازدراء): إيه دا يا آنسة؟

سونيا (نظرَت لعم دردیري): فيه إيه يا عم دكروري هو الواد دا مش عاجبه الميت بلبل والا إيه؟

دردیري: لأ، ازاي يا داكتورة مش عاجبينه؟ تلاقيه بس مكسوف حبتين.

سونيا: دا ابنك؟

دردیري: هه... أيوه آه، دا الواد عيلاء ابني الصغير. وانا هاخد الحلاوة بتاعته أشيلها له معايا؛ أصله بعيد عنك لسه خام.

سونيا: آدي اللي بناخده من التعليم وسنينه (وأشارت بسبابتها إلى حسين بغرض الاستهزاء به).

دردیري (مودِّعًا سونيا): مع السلامة يا ست الداكتورة، خلّينا نشوفك.

حسين (جاذبًا كتف عم دردیري ليعنِّفه): إيه اللي انت هبِّبته دا يا عم دكروري... قصدي يا عم دردیري؟

دردیري: إنت اللي وش فقر ما لكش في النعمة؛ رزق وجاي نقول له لأ؟

حسين: الله الغني عن الرزق اللي ييجي من الأشكال دي.

دردیري: بس تعرف يا أستاذ؟ أنا بصراحة كنت ناوي أزحلقك بالطريقة وما ادخَّلكش عند الداكتور فولهامي، بس انت قرفتك حلوة ووشك سِمِح.

حسين: شكرًا يا سيدي.

دردیري: أنا هاخش أدِّي له خبر أوام.

طرق دردیري الباب، ثم دخل إلى مكتب الدكتور فولهامي كي يخبره بوجود شخصٍ وراء الباب يسعى إلى مقابلته. وعلى الفور تهلَّلَت أسارير الدكتور فولهامي.

فولهامي: دا لازم هيثم ابن الدكتور متولي فزلوكة.

دردیري: بتقول حاجة يا داكتور؟

فولهامي: خلِّيه يتفضل بسرعة يا دردیري.

دردیري: بس يعني...

فولهامي: قلت لك: خلِّيه يتفضل بسرعة يا بني آدم. مستنِّي إيه؟

دردیري: حاضر يا داكتور، اللي تشوفه.

دخل حسين من باب المكتب بعدما أذن له الفرَّاش بالدخول، وقام الدكتور فولهامي من جلسته متنفضًا حتى يرحِّب بضيفه المنتظَر أشد الترحاب. إن الدكتور فولهامي لم يقابل هيثم ولم يرَ وجهه في يومٍ من الأيام، ولكنه تلقَّى توصيةً خاصةً من صديقه الدكتور متولي فزلوكة من أجل تعيين هيثم ابنه معيدًا في كلية العلوم.

فولهامي: أهلًا، أهلًا، أهلًا. إزيك يا حبيب قلب عمو؟

حسين (التفَت من حوله يمينًا ويسارًا): أنا؟

فولهامي: قل لي بقى تشرب شاي والا كاموميل والا تحب اجيب لك "فيسكافيه"؟

حسين: لأ، ما لوش لزوم. أنا كنت جاي لحضرتك بخصوص...

فولهامي: أنا عارف كل حاجة، عارف انك جاي علشان موضوع تعيينك معيد في الكلية.

حسين: أصل انا قلقت لما ما لقيتش اسمي في كشف المعيدين وكمان ما جاليش جواب التعيين من إدارة الجامعة.

فولهامي: دا حقيقي، وانا قصدت اعمل كدا فعلًا علشان الحاجات دي بتبقى عليها العين.

حسين: واضح ان حضرتك بتخاف من الحسد.

فولهامي: لأ، مش فكرة حسد؛ أنا قصدي يعني علشان الموضوع يمشي سالك من غير ما حد يبص لنا فيه. وانت عارف بقى كلام الناس لا بيقدِّم ولا يأخَّر على رأي ابو وديع.

حسين: مين الدكتور أبو وديع؟ دا عضو هيئة التدريس هنا في الجامعة؟

فولهامي: ما تاخدش في بالك، المهم إنك هتستلم وظيفتك من بكرة الصبح. مرضي كدا؟

حسين: شكرًا يا دكتور، ألف شكر.

فولهامي: بتشكرني على إيه؟ دا انت في مقام سمير ابني بالظبط.

حسين: الله يخلّيك يا دكتور، دا شرف ليا.

فولهامي: المهم قل لي أخبار بابا إيه؟ كويس؟

حسين: الله يرحمه.

فولهامي: مات؟ البقاء لله يا ابني، شد حيلك، هو دا حال الدنيا. الله يرحمه ويحسن إليه، دا لسه كان بيكلّمني من يومين.

حسين: بابا الله يرحمه اتوفّى من خمس سنين.

فولهامي: خمس سنين ازاي؟ هو مش انت هيثم ابن الدكتور متولي فزلوكة؟

حسين: لا يا دكتور؛ واضح ان فيه سوء تفاهم، أنا...

فجأةً سمع الدكتور فولهامي وحسين ضجةً كبيرةً خارج المكتب مصحوبةً بصرخاتٍ متقطّعةٍ واستغاثاتٍ متتالية. وفجأةً فُتح الباب ودخل شابٌّ مفتول العضلات يرتدي شورت جينز وقميصًا أسود اللون بدون أكمامٍ يشبه الفانلة الداخلية. وكان هذا الشاب هو هيثم ابن الدكتور متولي فزلزكة، وقام هيثم بسحل عم دردير على الأرض كأنه يمسح به بلاط الجامعة.

فولهامي: إيه دا؟ فيه إيه؟ (وهو يرتعد رعبًا).

دردير: ضربني يا داكتور وسيَّح دمي.

هيثم: الحيوان دا (أشار ناحية دردير) مش عاوز يدخَّلني.

فولهامي: إنت مين؟ وعاوز إيه؟

حسين: أيوه، انت مين؟ وعاوز إيه؟

هيثم: أنا هيثم فزلوكة. إنت الدكتور فهرنهايت؟

فولهامي: قصدك فولهامي يا ابني، إف... إل... هامي.

هيثم: أهي كلها أسامي بنت ستين في سبعين.

فولهامي: إنت متأكد انك هيثم؟ هيثم فزلوكة؟

هيثم (لم يردَّ عليه واكتفي بأن أدار رأسه وقد انهمك في إشعال سيجارة حشيش): معلش يا ابو الدكاتير يا اسمك ايه انت... أصلي لسه ما اصطبحتش.

فولهامي: ولا يهمك يا حبيبي، براحتك خالص، اعتبر نفسك في دورة الميه.

حسين (متنحنحًا): دكتور فولهامي.

فولهامي (وأخيرًا تنبَّه أن حسين ما يزال موجودًا بالمكتب): وانت بقى تطلع مين بسلامتك؟

حسين: أنا حسين عبد الصمد يا دكتور، الأول على دفعتي أربع سنين وكنت باتكلم مع حضرتك من شوية بخصوص تعييني معيد في الكلية.

فولهامي: إنت تتعيِّن معيد هنا في الكلية؟ ليه خير ان شاء الله؟

حسين: يا دكتور أنا باقول لحضرتك اني كنت الأول على دفعتي أربع سنين.

فولهامي: وأنا كرئيس قسم الحشرات في كلية العلوم باقول لك اني مش محتاج معيدين عندي في القسم؛ هي الحشرات ناقصة أشكالك؟

حسين: بس حضرتك من خمس دقايق كنت بتقول لي اني هاستلم شغلي من بكرة.

فولهامي: أنا كنت أقصد هيثم مش انت.

حسين: بس أنا أولى منه ومن أي حد تاني بالوظيفة دي.

فولهامي: إنت قصدك تطعن في نزاهتي؟ قصدك تقول اني ظلمتك مثلًا؟

حسين: العفو يا دكتور، مش قصدي؛ أنا بس عاوز اعرف هو حضرتك اخترته ليه.

فولهامي: علشان انا شايف إن هيثم فزلوكة أحق منك في إنه يبقى معيد عندي في القسم.

حسين: إزاي يعني؟

فولهامي: هو صحيح هيثم ما كانش الأول على دفعته وصحيح انه متخرج بتقدير مقبول وصحيح انه ما كانش في كلية العلوم أصلًا، لكن برضه هو أحق منك بالوظيفة دي.

حسين: ما كانش في كلية العلوم؟ أمَّال كان في كلية إيه بقى؟

فولهامي: كلية الحقوق.

حسين: ويا ترى هيدرِّس مادة إيه في كلية العلوم؟

فولهامي: حقوق الديدان، والا هي الديدان ما لهاش حقوق علينا؟

حسين: نعم؟ حقوق إيه؟

فولهامي: شفت أديك مش فاهم، ولا عمرك هتفهم.

حسين: أفهم إيه؟

فولهامي: هيثم دا شاب كويس جدًّا وأي بنت تتمناه.

حسين: وانا مالي يا دكتور؟ هو انا هاتجوزه؟

فولهامي: كفاية إنه إبن الدكتور العلَّامة متولي فزلوكة، وأكيد طبعًا الولد وارث النباهة والعبقرية من أبوه.

حسين: دا؟ دا حشاش.

فولهامي: ما تكبرش الموضوع، وبعدين دا بيصطبح بس.

حسين: يا دكتور دا شكله جاهل.

فولهامي: اخرس يا ولد، أنا ما اسمحلكش تغلط فيه قدامي، إنت شكلك غيران منه علشان هو أشطر منك.

حسين: أشطر مني؟!

فولهامي: طب إيه رأيك بقى اني هاسأله بنفسي علشان بس أثبت لك انه بيفهم أحسن منك. (وبدأ بتوجيه حديثه إلى هيثم) قل لي يا هيثم يا حبيبي.

هيثم: ديك أم الفصلان اللي على الصبح.

فولهامي: معلش يا حبيبي، هو سؤال واحد بس علشان نثبت له إننا أشطر منه.

هيثم: عاوز ايه؟ قول وخلَّصني.

فولهامي: تعرف إيه عن الكيميا؟

هيثم: حد الله بيني وبينها.

فولهامي: ليه؟ ما لها بس؟

هيثم: خطرة وما لهاش كبير.

فولهامي: إزاي؟ مش فاهم.

هيثم: عمرك ما تفهم غير لما تجرَّبها.

فولهامي: أجرَّبها؟ ودي تتجرَّب ازاي؟

هيثم: شكلك كدا ما لكش في الضرب.

فولهامي: ضرب؟ قصدك جدول الضرب؟

هيثم: اسم الله عليك هو الجدول، أديك فهمت اهو.

فولهامي: الحقيقة أنا مش فاهم انت بتقول إيه.

هيثم: إنت بتِقضِي منين؟

فولهامي: قصدك باقضي أجازتي فين؟ في بلطيم، شاطئ عش البلبل.

هيثم: بص، انا هابعت لك رقم الواد خفرع الديلر بتاعي وهو هيظبَّطك.

فولهامي: الملك خفرع؟ بتاع الهرم؟

هيثم: لأ، هو قاعد في أول فيصل.

فولهامي: بص يا هيثم أنا مش فاهم حاجة، بس واضح ان علمك غزير وأكيد هنستفيد كلنا من إبداعك.

هيثم: إنت لسه شفت حاجة؟

حسين (لم يُرِد أن يستكمل الجدال مع الدكتور فولهامي فآثر الرحيل؛ حيث إنه لا طاقةَ له بإيقاف هذه المهزلة): واضح ان ما فيش فايدة.

فولهامي (مستوقفًا حسين): اسمع يا ابني، أنا مش عايزك تيأس، وجايز ربنا شايل لك الخير في حتة تانية؛ إنت ممكن تلاقي شغل في حتت كتير، إنت ممكن تروح الشركة الألمانية لمكافحة الحشرات والا أقول لك ابعد عن الحشرات خالص؛ اشتري مكنة واشتغل طيار دليفري، كمان إنت ممكن تسافر بره مصر؛ فيه بلاد كتير بتقدَّر البهايم اللي زيك.

حسين: إنت عارف انا ناوي أشتغل إيه؟

فولهامي: إيه؟

حسين: حانوتي.

فولهامي: نعم؟

وفجأة انتابت حسين حالةٌ من الهياج النفسيّ الشديد، فأخذ في تكسير كل محتويات مكتب الدكتور فولهامي الذي اغتصب حقه في تحقيق ما تمنَّاه منذ اليوم الأول من التحاقه بالدراسة بالجامعة. واستخدم حسين كل ما وجده أمامه من أدواتٍ مكتبيةٍ وأكوابٍ زجاجيةٍ وأدراجٍ خشبيةٍ ليكسِّره فوق رأس الدكتور فولهامي. ولم يكترث هيثم لصراخ الدكتور فولهامي، بل أشعل لنفسه سيجارة حشيش أخرى وظلَّ ينظر أمامه إلى العراك كأنه يشاهد فيلم أكشن في التليفزيون.

وقام عم دردیري بغلق باب المكتب من الخارج حتى ينتقم لنفسه من هيثم الذي ضربه ولم يحترم شيبته، كما أراد أن ينتقم من الدكتور فولهامي الذي تعوَّد على سب جميع الفرَّاشين بالجامعة بأقذع الألفاظ. وكان صراخ الدكتور فولهامي يتزايد من داخل مكتبه سعيًا لنجدته من براثن ذلك الوحش الكاسر والزومبي المتحوِّل حسين الذي أُصيب بنوبةٍ من الهياج تملَّكت منه حتى أصبح أسيرًا لها.

وعلى الفور قام بعض العاملين والعاملات بالجامعة ممن سمعوا صراخ الدكتور فولهامي بإبلاغ الشرطة والإسعاف ومستشفى الأمراض العقلية والمطافئ. وسمع دردیري الفرَّاش طراطيش كلامٍ عن قرب وصول رجال الشرطة وقوات العمليات الخاصة وكتيبةٍ من المدفعية لنجدة الدكتور فولهامي، فقرَّر أن يتخذ خطوةً استباقية؛ حيث فتح الباب وقام بتحذير حسين ونصحه بمغادرة المكان قبل أن يتمَّ إلقاء القبض عليه.

دردیري (وهو يربت على كتف حسين): خلاص يا ابني، إنت كدا خدت حقك وزيادة، ولو استنيت أكتر من كده هتروح ورا الشمس.

حسين: أنا خلاص مستقبلي ضاع يا عم دردیري.

دردیري: شوف يا ابني اللي قبلنا قالوها كلمة حكمة: ما حدش بيضيع من كتر الترزيع.

حسين: نعم؟

دردیري: امشي يا ابني قبل ما تدخل في سين وجيم، وانا من ناحيتي مش هاجيب سيرتك لما يسألوني.

حسين: شكرًا على النصيحة، شكرًا يا عم دردیري.

عمل حسين بنصيحة عم دردير الفرَّاش وخرج من مكتب الدكتور فولهامي مسرعًا كي يهرب من قبضة رجال الشرطة الذين بدأوا في الانتشار داخل المبنى. ألقى حسين نظرةً أخيرةً على الدكتور فولهامي الذي تمدَّد على الأرض وهو يعاني من الكدمات والجروح في مختلف أنحاء جسمه، ثم ألقى نظرةً أخرى على هيثم الذي ظلَّ يدخِّن سيجارة الحشيش دون اكتراثٍ منه لما يحدث من حوله.

اقتحم رجال الشرطة موقع الحادث، ولكنهم لم يجدوا مع المجني عليه سوى هيثم الذي ظلَّ يدخِّن سيجارته المحشوَّة أمام ذلك الحشد من ضباط الشرطة وعساكرهم، وقف الضابط هنيهةً بجوار هيثم الذي لم يكترث مطلقًا لما حوله من أحداث.

الضابط: وكمان قاعد بتشرب حشيش يا روح امك؟

هيثم: فيه حاجة يا كابتن؟

الضابط (أشار لعساكره بالتحرك): اقبضوا عليه.

العساكر (في نفَسٍ واحد): تمام يا فندم.

حاول الدكتور فولهامي أن يبذل قصارى جهده من أجل إعلاء كلمة الحق وتبرئة هيثم من ظلمٍ يوشك أن يقع به، فأشار للضابط بيديه المرتعشتين، اعتقد الضابط أنه يشير باتجاه هيثم متَّهمًا إياه بما أصابه من علقةٍ ساخنة.

الضابط: ما تقلقش يا عم الحاج، إحنا قبضنا عليه والقانون هياخد مجراه.

هيثم: أنا بريء يا جدعان، أنا ما عملتش حاجة.

الضابط: تعدِّي بالضرب على مواطن أثناء أداء وظيفته وحيازة مواد مخدِّرة وما عملتش حاجة؟ خده ع البوكس يا عسكري.

هيثم: دا واحد مجنون كان قاعد هنا وفِضِل يكسَّر في المكتب ويضرب الدكتور فلهاوزن اللي مرمي هناك دا.

الضابط: الكلام دا تبقى تقوله في النيابة.

وجاء اثنان من رجال الإسعاف يحملان النقَّالة بين أيديهما لنقل المصاب إلى أقرب مستشفى، وأعطى أحد الرجلين الإشارة لزميله من أجل وضع الدكتور فولهامي فوق النقالة.

رجل الإسعاف ١: يالا، واحد، اتنين، تلاتة... هوب.

رجل الإسعاف ٢: يا نهار إسود؛ النقَّالة اتكسرت.

رجل الإسعاف ١: وبعدين؟ هنعمل إيه؟ دي عهدة.

رجل الإسعاف ٢: هو يوم باين من أوله.

رجل الإسعاف ١: ما فيش غير حل واحد (وسحب الدكتور فولهامي من رابطة عنقه ورفعه لأعلى وهو ممسكٌ بقدميه، ثم بدأ يلفُّ السجادة حوله).

رجل الإسعاف ٢: هتعمل إيه يا مجنون؟

رجل الإسعاف ١: افتح الشباك وتعالى شيل معايا.

رجل الإسعاف ٢: إنت عاوز تحدف الراجل من الشباك؟

رجل الإسعاف ١: مش أحسن ما نجرجره على السلم؟

رجل الإسعاف٢ (فتح الشباك ليتأكد من عدم وجود أحدٍ من حولهما): دا هينزل فوق سقف عربية الإسعاف دريك.

رجل الإسعاف ١: إيدك معايا بقى ندلدله من الشباك.

رجل الإسعاف ٢: هما تلاتة أربعة متر، مش حوار يعني (ألقي المسعفان بالسجادة الملفوف بها الدكتور فولهامي من الشباك الواقع بالدور الثاني ليسقط سقوطًا حرًّا فوق سقف سيارة الإسعاف).

رجل الإسعاف ١: الله ينوَّر.

أطلق الدكتور فولهامي صرخةً مدويةً من شدة الألم وظل يتلوَّى حتى خرج جسده من حيز السجادة التي تحيط به، ولكن حظه العَسِر جعله يسقط مرةً أخرى من فوق سطح سيارة الإسعاف على الرصيف. واقترب منه حسين الذي كان يراقب الأحداث من بعيد.

حسين (مال بجذعه وربت على كتف الدكتور فولهامي): ألف سلامة عليك يا دكتور، سلامتك يا حبيبي.

الحاجة

نظيرة بهجت أبو العيون

دقت ساعة الحرم الجامعيّ الثامنة مساءً في أحد أيام الخميس التي غدت تشبه بعضها بعضًا. كان الطريق مزدحمًا بالمارَّة الذين ترجَّلوا من وسائل المواصلات كوسيلةٍ من وسائل الثورة الصامتة ضد الزحام بعدما غزا وجدانهم الصدأ، أما سائقو السيارات فقد أبوا أن يثوروا لتيقنهم من أنهم لن يجدوا ركنةً مناسبةً لترك سياراتهم بها، ومن ناحيةٍ أخرى فقد اعتادوا على صوت السلانسيه الصادر من مواتير سياراتهم والمصاحب لأصوات الكلاكسات المزعجة. وانتهز رجال الشرطة فرصة هذا الزحام كي ينصبوا لجانهم المرورية على الطريق. والجدير بالذكر أن رجال المرور لديهم ملَكةٌ فريدة؛ حيث يستطيع أي فردٍ منهم أن يعرف أصحاب الرخص المنتهية أو المسحوبة من نظرةٍ واحدةٍ ثاقبةٍ في عيني السائق، وهم على ذلك غير مجبرين على تفقد كل رخصةٍ من قائدي السيارات العابرة من خلال أكمنتهم.

كبح سعيد فراملة المتهالكة التي أصدرَت صفيرًا مدوِّيًا كاد يخرق طبلة أذن أحد الضباط المرابطين في الكمين. أشار له الضابط بالتوقف من أجل فحص أوراق السيارة التي بدت أشد خطورةً على البيئة من ثقب الأوزون والاحتباس الحراري. نظر الضابط إلى السيارة كأنه يشفق عليها من سوء معاملة صاحبها لها، ثم مال بجذعه ليتفحَّص الوجوه الجالسة بالسيارة. نظر سعيد إلي الضابط نظرةً مترددِّةً بين أمرين: أولهما أن الضابط سوف يعاقبه بسبب بعض الأمور البسيطة التي تتميَّز بها سيارته مثل تصدُّع البرابريز الأمامي وخيوط الدخان الأبيض الصادرة من الجاكمان وبعض مرمَّات المعجون التي تلطِّخ الرفارف والأجناب ولم يغطِها لون الدوكو

المرشوش، وثانيهما أن الضابط سوف يرأف به احترامًا وتقديرًا لست الحبايب التي تجلس بجواره. حسم الضابط ذلك التردد حيث أشار لسعيد بأن يبرز الرخص، فامتثل لأمره وأعطاه رخصة السيارة ورخصة القيادة، ثم بلع ريقه.

سعيد: اتفضل يا باشا، الرخص تمام.

الضابط: معاك طفاية؟

سعيد: لا انا أصلي ما بادخَّنش.

الضابط: هو انا باسألك عن طفاية سجاير؟

سعيد: أمَّال حضرتك عاوز طفاية إيه؟ لبان؟

الضابط: يعني ما معكش طفاية، طيب معاك مثلث؟

سعيد: ما باستعملوش من أيام المدرسة.

الضابط (وهو ينظر للرخصة في يده): اسمَك نظيرة بهجت أبو العيون؟

سعيد: لأ، أصل العربية باسم أمي، ست الحبايب يا حبيبة اللي قاعدة جنبي.

وفي تلك اللحظة قاطعَت السيدة نظيرة هذا الحديث الذي تسبَّب في تساقط قطرات العرق على جبين ابنها سعيد من شدة الاضطراب والخوف من العقاب، فنظرَت للضابط الذي بدا في قمة أناقته وهو يرتدي زيه الميري الأبيض ونظارة الشمس ذات الزجاج العاكس.

نظيرة: أنا نظيرة يا حضرة الكومسطبل، فيه حاجة؟

الضابط: بصي يا حاجة، أنا المفروض اسحب الرخص واحرَّر مخالفة أمن ومتانة، بس هاعدِّيها المرة دي علشان خاطرك.

نظيرة: أنا متشكرة جدًّا، وليك عليا هاملَّص له ودانه. (وخلعَت نظارتها الشمسية من على عينيها وهي توجِّه كلامها إلى ابنها معاتبةً إياه) أنا مش قايلة لك ميت مرة تجيب فوَّاحة وتحطها على المراية الوسطانية بدل معايرة اللي يسوى واللي ما يسواش لينا؟ إنت أصلك طول عمرك موكوس، مش لو كنت سمعت كلامي ودخلت شرطة بدل كلية التجارة بتاعتك دي كان زمانك بقيت ظابط ملو هدومك زي سيادة الرقيب.

وبمجرد أن انتهَت نظيرة من كلامها بدأ الضابط في السعال ووضع يده على رأسه، وأخذ يترنَّح يمينًا ويسارًا حتى لم يعد قادرًا على الحفاظ على توازنه. انتهز سعيد الفرصة وأخذ الرخص من يد الضابط وقاد سيارته بسرعةٍ مبتعدًا.

سعيد: مخالفة هروب من الكمين أحسن ما يموت شهيد ويبقى ذنبه في رقبتي.

نظيرة: قصدك إيه؟

سعيد: قصدي إني لو كنت فضلت واقف مكاني كنتي هتغربلي الكمين يا ماما.

نظيرة: إخص عليك يا سعيد، قصدك تقول ان عيني وحشة؟

سعيد: لأ، العفو يا ماما، دا انا اللي عيني وحشة.

نظيرة: حصوة في عينك وفي عين اللي ما يصلِّيش ع النبي.

سعيد: ماشي يا ماما، بس انتي إيه بس اللي خلَّاكي تقلعي النضارة؟

نظيرة: ما باشوفش بيها كويس.

سعيد: ما هو دا المطلوب.

نظيرة: بتقول إيه؟

سعيد: قصدي يعني البسيها علشان عينيكي ما تتعبش، الدكتور هو اللي قال كدا، والا انتي عاوزة عينك تتعب ونضطر نعمل لك عملية ليزك؟

نظيرة: عملية لأ، وانا هالبس النضارة اهو ومش هاقلعها أبدًا (ترتدي نظارتها ذات الزجاج الأسود المعتِم).

سعيد: باقول لك إيه يا ماما، بلاش نروح الفرح دا وتعالي أعزمك على العشا في أي حتة تانية.

نظيرة: يا سلام! ومن إمتى بقى الحنية دي؟

سعيد: أنا خايف على العريس والعروسة.

نظيرة: خايف عليهم والا صعبان عليك تشوف نرمين بنت خالك وهي في الكوشة مع عريسها؟

سعيد: دا كان موضوع قديم واتقفل من زمان.

نظيرة: طالما اتقفل يبقى تِنكِتِم وتوصَّلني وانت ساكت، والا عاوز عوني بيه أخويا ياكل وشي علشان ما رحتش فرح بنته؟

سعيد: خلاص انتي حرة.

نظيرة: واعمل حسابك إننا هنعدِّي على طنط مديحة ناخدها معانا في سكتنا.

سعيد: إيه دا؟ هي لسه عايشة؟ مش كانت ماتت تلات مرات قبل كدا؟

نظيرة: ربنا يدِّيها الصحة.

ظلَّ سعيد يقود السيارة في صمت؛ فلقد ذكَّرته أمه بحكايات الماضي الذي حاول دومًا أن ينساه. لقد عاد به الزمن فجأةً إلى يوم الفراق وتذكَّر قصة الحب التي جمعَته مع ابنة خاله نرمين في أيام الصبا والتي انتهَت بفراق الحبيبين عندما بدأَت علامات الثراء الفجائيّ تدقُّ على أبواب خاله عوني الذي استطاع على أثر هذا الثراء أن يحوِّل نشاطه من مجرد مقاولٍ بسيطٍ لبعض بنود التشطيبات إلى شركة مقاولاتٍ كبرى يُشار إليها بالبنان. غادر عوني وزوجته جيلان بصحبة ابنتهما الوحيدة نرمين شقتهم المقابلة لشقة الحاجة نظيرة بحي السيدة زينب وسكنوا بجوار من يماثلونهم ثراءً في كومباوند رحيبٍ بمنطقة التجمع الخامس. ولم تمرَّ سوى لحظاتٍ قليلةٍ على هذا الشرود الذي انتاب سعيد حتى أشارت له نظيرة بالتوقف على قارعة الطريق.

نظيرة: بس، اقف هنا. أهي طنط مديحة مستنيانا هناك.

سعيد: فين؟ أنا مش شايفها.

أخذ سعيد وقتًا طويلًا حتى يستطيع تحديد المكان الذي تقف فيه طنط مديحة أمام مسكنها. ولم تكن طنط مديحة واقفةً كما اعتقد سعيد في بادئ الأمر، بل كانت جالسةً على كرسيٍّ متحرك، وكان الشاش والجبس يلتفَّان حول كامل جسدها كأنه كفنٌ أو جثةٌ محنَّطةٌ من زمن الفراعنة.

سعيد (وقد أصابته الحيرة بعدما رأى طنط مديحة): طب مش كنتي تقولي يا ماما إنها كدا علشان أركّب لها الشبكة على السقف.

نظيرة: إنت عاوز تربط طنط مديحة فوق سقف العربية يا قليل الأدب؟

سعيد: خلاص، أنا هاتصرَّف.

وضع سعيد الكرسيّ المتحرك فوق سقف العربية، أما طنط مديحة فقد وضعها في وضعيةٍ معكوسة: رأسها إلى الأسفل على أرضية السيارة فيما بين الكنبة الخلفية والكرسيين الأماميين، بينما برزَت رجلاها المتيبِّستان والمغلَّفتان بالشاش الأبيض والجبس من فتحة الشبَّاك الخلفيّ. أدارت نظيرة رأسها في أسًى وهي تنظر إلى خالتها.

نظيرة: حرام عليك اللي انت عامله دا في طنط مديحة، ينفع كدا؟

سعيد: مش انتي اللي صمِّمتي تاخديها معانا؟ يعني كنت أحطَّها فين يعني؟

نظيرة: طبعًا طنط مديحة لازم تيجي الفرح؛ دي خالتي يا سعيد، عارف يعني إيه خالتي؟ يعني في مقام عمتي.

سعيد: بس حالتها الصحية ما تسمحش انها تخرج من التلاجة أكتر من خمس دقايق.

نظيرة: ما لكش دعوة، سوق وانت ساكت.

سعيد: كلها ربع ساعة ونوصل، ربنا يستر بقى وتفضل عايشة.

نظيرة: بتقول حاجة؟

سعيد: لا يا حبيبتي، باقول لك البسي النضارة علشان عينيكي ما تتعبش.

وصل سعيد بالقرب من الڤيلا التي لم يدخلها من قبل تحاشيًا لمواجهةٍ محتومةٍ مع حبيبته الأولى التي استطاع أخيرًا أن ينساها ويُخرِجَ صورتها المهترئة من قلبه. تزيَّنَت الڤيلا بأكاليل الورد والأضواء الساطعة، مما أضفى عليها تميزًا ملحوظًا في ذلك اليوم عن الڤيلات المجاورة لها. وأوقف سعيد سيارته عند باب الڤيلا.

نظيرة: أنا وطنط مديحة هنسبقك لحد ما تلاقي ركنة.

سعيد: اللي تشوفيه يا ماما، تحبي أنزِّل لك الكرسي بتاعها والا هتدحرجيها هيلا بيلا؟

نظيرة: لأ، نزِّل لي الكرسي يا خفيف.

سعيد: حاضر.

أنزل سعيد الكرسيّ المتحرك الخاص بطنط مديحة، ثم فرده كي تجلس عليه السيدة العجوز. أمسكَت الحاجة نظيرة بالمقابض الخلفية للكرسيّ بعدما جلست عليه خالتها التي برقَت عيناها لما أصابها من ذعر أثناء وجودها بالسيارة. كانت نظيرة ترتدي نظارتها السوداء، الأمر الذي حجب وضوح الرؤية عن عينيها بشكلٍ ملحوظ؛ حيث كانت نظيرة تتحسَّس خطاها وهي تدفع الكرسيّ المتحرك ومن فوقه طنطها مديحة، وإذا بقدمها اليمنى تتعثَّر في زلطة. تشبَّثَت نظيرة بمقبض الكرسيّ المتحرك كي تتفادى سقوطها على الأرض، ولكن الكرسيّ لم يتحمَّل مقاومة ذلك الوزن الزائد عن الحمل التصميميّ له. وعلى الفور سقطَت مديحة ومن فوقها الكرسيّ، وكذلك سقطَت نظيرة فوق الكرسي وفوق مديحة التي لم يُفعَص جسدها الهزيل بسبب طبقات الجبس المتراصة حولها. ولم تُصَب نظيرة بأي أذًى على الإطلاق إلا وقوع نظارتها الطبية على الأرض، مما أدَّى إلى تهشم زجاج النظارة إلى فتافيت صغيرة.

لم تكن نظيرة ترتدي النظارة بسبب شكواها من ضعف البصر، وإنما هي حيلةٌ بسيطةٌ دبَّرها لها ابنها سعيد حفاظًا على أهل المجرة من الانقراض؛ حيث نما إلى علمه ما تملكه أمه من قوةٍ مدمِّرةٍ تكمن في عينيها، تستطيع من خلالها تدمير أي شيءٍ بعينيها التي فلقَت الحجر إذا ما نظرَت إليه بنظرة حسد. ونجحَت حيلة سعيد في حماية أبناء الوطن من عين أمه عن طريق تلك النظارة ذات العدسات المعتِمة والتي حرمَت أمه من متعة التطلع إلى تفاصيل الأشياء.

حاولت نظيرة الوقوف على قدميها، لكنها لم تفلح إلا في زيادة معدلات الألم في جسد طنط مديحة الذي لا ينقصه ألمٌ فوق آلامه. لم تستطع مديحة التعبير عن الألم الصادر بسبب ما فوقها من أطنان الشحم والحديد، واكتفَت بإيماءات عينيها وبإصدار صوتٍ مكتومٍ كصوت الكتكوت المذبوح. وأخيرًا قرَّرَت نظيرة أن تطلب المساعدة ممن حولها، فرقعَت بالصوت الحياني.

نظيرة: الحقوني يا ناس.

تنبه أحد الجرسونات المنتشرين بالڤيلا إلى صوت استغاثة الحاجة نظيرة. وعلى الفور قام باستدعاء زميلين آخَرَين من زملائه، ونجح الجرسونات الثلاثة بعد عناءٍ شديدٍ في رفع جسدها المترهِّل شحمًا ودهنًا، ومساعدتها على الوقوف على قدميها. أمسك الجرسونات بيد الحاجة نظيرة وقاموا بإسنادها من أجل الوصول إلى أقرب الكراسي المنتشرة حول الترابيزات في حديقة الڤيلا. سارت الحاجة نظيرة بضع خطواتٍ وهي تستند على أيادي الشباب التي أصابها التنميل من فرط وزنها، ولكنها توقَّفَت عن المسير إذ تذكَّرَت فجأةً أنها نسيَت طنطها مديحة ملقاةً على الأرض ومن فوقها الكرسيّ المتحرك.

نظيرة (التفتَت بخصرها إلى أحد الجرسونات الممسكين بيديها): طنط مديحة، يا خبر، نسيتها.

الجرسون: هي الجثة اللي هناك دي تبع حضرتك؟

نظيرة: أيوه، دي طنط مديحة.

الجرسون: أنا آسف جدًّا؛ كنت فاكرها مع الإكسسوار إلي جايلنا مع شو التورتة.

جلسَت الحاجة نظيرة أخيرًا وبجوارها طنط مديحة حول إحدى الترابيزات المستديرة التي تملأ حديقة الڤيلا الفاخرة. وراحت تتفحَّص المكان من حولها بعينين مفنجلتين، فرأت حديقة الڤيلا التي بدأ الزوار يتوافدون عليها تباعًا في انتظار قدوم العريس والعروسة من خلال مشهد الزفة المتكرر والذي أصبح من ثوابت الأفراح التي لا تتغيَّر أبدًا. ابتسمَت نظيرة بسخريةٍ ثم قالت لمديحة التي ما زالت مرابطةً ومربوطةً مكانها.

نظيرة: مش مكلّفين الفرح يعني، دا حتى عوني استخسر يأجَّر قاعة الحفلات اللي في نادي النقابة اللي كان فيها خطوبة البت منال بنت أبلة جلفدان. طول عمره إيحة حتى يوم فرح بنته الوحيدة. يا عيني عليكي يا نرمين يا بنتي، مش مكتوب لك تفرحي في يوم فرحك. تلاقي الحربوقة أمها اللي اسمها جيلان هي اللي خلّته يعمل الفرح في جنينة الڤيلا بتاعتهم علشان يوفروا، رغم إن على قلبهم فلوس زي الرز. عارفة يا طنط؟ البت نرمين بنت اخويا عوني كانت هتموت على الواد سعيد ابني. أمَّال؟ ما هو برضك الواد حليوة وقيمة وسيما وأي واحدة تستمناه، لولاش بس عوني اخويا اللي اتغيَّر وبقى واحد تاني من ساعة ما القرش جري في إيده وبقى متريش.

كان سعيد في ذلك الوقت يبحث عن مكانٍ لركن سيارته المهكَّعة وسط السيارات الفارهة، وكانت الأماكن المخصَّصة للركنة شاغرةً بالكامل وتعجُّ بالكثير من السيارات، وبالكاد وجد سعيد مكانًا يمكن أن يسع سيارته، ولكنه لا يستطيع الولوج إليه بسبب وجود إحدى السيارات السوداء من ذوات الدفع الرباعي المتوقِّفة أمام تلك الركنة مما يستلزم تحريكها بمسافة خطوةٍ واحدةٍ للأمام أو للخلف.

سعيد (مناديًا السائس حتى يساعده): لو سمحت يا أخ، عاوز اركن هنا.

السائس (أخذ نفَسًا عميقًا من سيجارته وهو ينظر إلى سعيد الواقف بجوار سيارته البالية، ثم ألقى بالسيجارة جانبًا): اتكل على الله يا حبيبي بفردة الشبشب اللى انت سايقها.

سعيد: باقول لك زق العربية دي علشان أركن وراها يا بني آدم.

السائس: ما تشوف لك أي خرابة تركن فيها، يالا غور في أي داهية بعيد عن هنا.

سعيد: إنت قليل الذوق وفي نفس الوقت قليل الأدب كمان.

السائس: يالا اتكل من هنا قبل ما اعمل معاك الجلاشة.

سعيد: هتعمل لي جلاشة هاعمل لك بقلاوة.

السائس (انتفض بعدما سمع صوت كلاكس سيارة مرسيدس قادمًا من الناحية الأخرى من الطريق، فراح يلهث وراء رزقه القادم من بعيد): باركي يا باشا، أنا جاي اهو.

قرَّر سعيد أن يعتمد على نفسه بأن ينزل من سيارته ويقوم بدفع السيارة السوداء للأمام قليلًا، ومن ثم يستطيع العبور من خلفها وركن سيارته في المكان المنشود دون أن يعطِّل حركة السيارات الأخرى. وقف من خلف السيارة وحاول أن يدفعها، ولكن السيارة لم تتزحزح من مكانها كأنها جبلٌ افترش الأرض وانغرز تحتها بأوتاده التي تقهر القوى، وبدأَت جبهة سعيد تتصبَّب عرقًا كنهر النيل وقت فيضانه.

نظرَت الحاجة نظيرة إلى الڤيلا من حولها، وأخذت كبشةً من المكسَّرات الموضوعة أمامها في الأطباق المقعَّرة، ثم نظرَت إلى خالتها مديحة.

نظيرة: وزي ما انتي شايفة كدا الأُبهة اللي عايش فيها: ڤيلا وعربيات وخدم وحشم، ناس ليها حظ وناس ليها زفت، جاتنا نيلة في حظنا الهباب.

أصدرَت مديحة أنينًا مكتومًا بسبب الطبقات المتراصة من الشاش والقطن التي غطَّت رأسها.

نظيرة: ما لك يا طنط مديحة؟ فيكي إيه؟ أجيب لك سوداني من دا؟ (تناولَت حفنةً أخرى من البندق واللوز والكاجو ودسَّتها أسفل الجبيرة التي تغطِّي وجه مديحة، وتناولَت واحدةً من حبات الكاجو في فمها، فلم تستسغها) حتى السوداني مزنَّخ.

لاحظ سعيد حبات العرق التي بدت على جبهته، فمسح أثرها بمنديلٍ ورقيّ، ثم ألقاه على مقربةٍ من إطار السيارة، ولكن المنديل سقط فوق السيجارة التي ألقاها السائس على الأرض دون أن يطفئها بنعله. وفجأةً اشتعل المنديل واشتعل معه إطار السيارة الذي يزيد سعره عن سعر سيارة سعيد. أخرج سعيد طفاية حريق كبيرةً من شنطة سيارته، ووجَّهها ناحية مصدر الحريق، استطاع السيطرة على الحريق، ولكن اندفاع الماء أدَّى إلى سقوط الباب الجانبي والرفرف على الأرض. وضع الباب والرفرف على الكنبة الخلفية للسيارة وحاول تحريك عصا الفتيس، فانخلعَت في يده. استند على الدركسيون حتى ينزل من السيارة، ولكن الدركسيون أفلت في يده، فألقاه من يده، ونظر إلى السيارة باستغراب.

سعيد: هو فيه إيه؟ (سقط الباب الخلفي للسيارة دون أن يمسه أحد) هي العربية دي تقفيل صومالي والا إيه؟

نظر سعيد من حوله ليتأكَّد من أن أحدًا لم يره، ثم توجَّه إلى سيارته وتركها بعيدًا عن تلك الجلبة وهو يرتدي ثوب البراءة. وفجأةً انكمش بجسده إلى الأمام قليلًا بعدما سمع صوتًا خشنًا من خلفه. التفت إلى مصدر الصوت وهو ما يزال منكمش الرقبة وما يزال يغطِّي وجهه بكلتا يديه تفاديًا للكماتٍ محتمَلةٍ أو سبابٍ على أقل تقدير. تفحَّص الرجل الواقف من خلفه في ريبة، وسرعان ما تهلَّلَت أساريره عندما أيقن أن هذا الرجل هو إسماعيل ابن خالته سميحة وصديق طفولته.

إسماعيل: سعيد، ولا يا سعيد، هو فيه إيه؟

سعيد: يخرب بيتك، هو انت يا سمعة؟

إسماعيل: إيه يا ابني؟ فيه إيه؟ ما لك مش على بعضك ليه؟

سعيد: ما لي يعني؟ ما ما ليش ولا حاجة.

إسماعيل: إنت هتحوَّر عليا؟ أنا عارف كل حاجة.

سعيد: بس انا ما كانش قصدي.

إسماعيل: وما لك خايف كدا؟ اتطمن؛ مش هاقول حاجة لخالتو نظيرة.

سعيد: طول عمرك أصيل يا سمعة.

إسماعيل: أنا أول ما شفتك ملبوخ كدا قلت إنك خرمان وعاوز تِسمُوك في حتة متدارية، صح يا معلِّم؟

سعيد: طبعًا صح، صح قوي كمان؛ أنا فعلًا عاوز أستوك، أنا أصلًا مدمن بعيد عنك (قال هذا وهو لا يدخِّن ولا يتعاطى المخدَّرات ولكنه ادَّعى ذلك خوفًا من أن يعلم أي شخصٍ بأنه هو الذي دمَّر السيارة في الباركنج).

إسماعيل: معايا حتة أفغاني لسه طالعة من الجمرك، ماركة جحيم تحت الماء.

سعيد: طول عمرك واطي يا سمعة.

إسماعيل: إيه؟

سعيد: لأ، أصل انا كنت بافكَّر ابطَّل.

إسماعيل: تبطَّل إيه؟ عليا الطلاق أبدًا، دا انت ضيفي النهارده .

سعيد: لأ؛ أصل انا باتعاطى نوعية تانية غير اللي انت بتشربها.

إسماعيل: إوعى تكون سكتك استروكس يا سعيد؛ دي آخرتها وحشة يا سعيد.

سعيد: على أساس ان الهباب بتاعك فيه غذاء ملكات النحل؟!

إسماعيل: شفت بقى؟ هي دي دماغ استروكس، أنا عارفها كويس.

سعيد: أنا الصراحة باشرب بانجو (بترقيق الباء).

إسماعيل: دا إيه الدماغ البيآنة دي؟ ليه تعمل في نفسك كدا يا سعيد بس؟ زعلتني عليك يا راجل. بس انا لازم انقذك من اللي انت فيه واعدل لك دماغك؛ دا انت ابن خالتي يا جدع، فيه إيه؟

سعيد: حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا سمعة.

وجذب إسماعيل يد سعيد كأنه منقذه من الهلاك المبين ومرشده إلى عالمٍ جديدٍ يرتقي فيه عن سائر المخلوقات. وفي الناحية الأخرى من الفرح جلسَت نظيرة تراقب تفاصيل الأحداث من حولها وتتفحَّص الجميع ممن يدخلون ويخرجون؛ كأنها تكتب عنهم تقريرًا في مخيلتها أو ترسم لهم لوحةً سيرياليةً بلا عنوان. وجاء أخوها عوني ليصافح المدعوين ويشكرهم على تلبية دعوته، واقترب من شقيقته الكبرى نظيرة وقبَّل رأسها.

عوني: إزيك يا نظيرة يا اختي؟

نظيرة: أنا بخير طول ما انت بخير يا عوني.

عوني: عقبال سعيد.

نظيرة: حياتك الباقية.

عوني: أمَّال هو فين؟ مش شايفه.

نظيرة: بيركن عربيته الملاكي وجاي على طول. أمَّال فين عروستنا الحلوة والا تقلانة علينا؟

عوني: الكوافير فوق بيعمل لها شعرها.

نظيرة: ليه هي قرعا؟ قصدي كان لزومه إيه الكَوافيرجي؟ دا تلاقيه واخد شيء وشويات.

عوني: عن إذنك بقى علشان أسلِّم على بقية المعازيم.

نظيرة: مش هتسلِّم على طنط مديحة؟

عوني: هي فين؟ لا مؤاخذة يا طنط ما عرفتكيش؛ إكمن وشك مش باين ورا الدشمة.

ربت عوني على الجبس الملتف حول كتفي طنط مديحة، فنظرَت إليه كأنها تستغيث به، ولكنه لم يفهم مرادها؛ حيث إنها لا تستطيع النطق، وبرغم محاولاتها المتكرِّرة فإنها لم تتمكَّن إلا من ترديد نبرةٍ واحدةٍ متقطِّعة.

مديحة: هه اههه هاههههاهه.

نظيرة: ما لك يا طنط؟ عاوزة تغنِّي والا بتهوهوي عادي؟

عوني: عن إذنك يا نظيرة؛ هاروح أسلِّم على سيادة الوزير.

نظيرة: إيه دا؟ الفنان حمدي الوزير هنا؟

في ذلك الوقت كان ميشو الكوافير يصفِّف شعر نرمين. وكعادة الكوافيرات كان ميشو يتحدَّث في كل شيءٍ وعن أي شيءٍ بلا توقف، ولكن ميشو توقَّف فجأةً عن الحديث وظلَّ جسده يرتعد بسبب تعرضه لصاعقةٍ كهربائيةٍ ناتجةٍ عن تلامس الأسلاك الكهربائية في البيبي ليس التي كان ممسكًا بها. صرخت نرمين وخلفها تردَّدَت صرخات صديقاتها.

نرمين: ميشو مات والا إيه؟ أمَّال مين هيعمل لي شعري؟

صديقة نرمين (مالت ناحية ميشو الكوافير لتجسَّ نبضه): الله يرحمه، مات شهيد البوستيج.

تردَّدَت تأوهات ميشو الكوافير في آذان الفتيات لتثبت لهن بالدليل القاطع أنه ما يزال على قيد الحياة. استطاع ميشو النهوض من مكانه والجلوس على الكرسيّ الذي كانت تجلس عليه نرمين. وظلَّت الفتيات تنظرن إليه بذهولٍ نظرًا لما أصابه من تبدلٍ للحال؛ حيث ابيضَّ وجهه وابيضَّت خصلات شعره التي أضحت وكأنها متجمِّدةٌ للأعلى وتتخلَّلها أعمدةٌ متوازيةٌ من الدخان.

ميشو (محاولًا أن يستردَّ أنفاسه بصعوبة): لا يا نرمين، ما تخافيش؛ أنا اللي هافنِّش لك شعرك لحد آخِر نفَس في عمري.

نرمين: هاتوا له إزازة ميه بسرعة.

صديقة نرمين: لأ، الميه المعدنية غلط مع الكهربا، أنا هاجيب له ميه من الحنفية.

أخذ سعيد نفَسًا عميقًا من سيجارة الحشيش التي لفَّها إبراهيم كي يخمِّسا بها معًا. ونظرًا لأن هذه السيجارة المحشوَّة تُعتبر الأولى من نوعها في حياة سعيد الانحرافية فقد بدأ يسعل كما احمرَّت عيناه من أثر هذه النبتة التي يذهب تأثيرها مباشرةً نحو الدماغ. أحسَّ سعيد بتنميلٍ بسيطٍ في رأسه وشعر أن جسده أصبح خفيفًا لدرجةٍ تمكِّنه من التحليق في الآفاق.

سعيد (مناولًا إسماعيل عقب السيجارة): إنت قلت لي البتاع دا اسمه إيه؟

إسماعيل: قصدك الاسطفة؟

سعيد: أيوه، هي المصفة دي، اسمها إيه؟

إسماعيل: جحيم تحت الماء.

سعيد: أمَّال انا لسه حاسس انها جحيم فوق الماء؟

إسماعيل: إنت لحقت؟ كدا سافرت من أول نفسين؟

سعيد: سافرت فين؟ ما انا قاعد جنبك اهو. (ضاحكًا) ولا يا سمعة.

إسماعيل: عاوز إيه؟

سعيد: عاوز اروح الحمام.

إسماعيل: أيوه يعني عاوز ايه؟

سعيد: باقول لك عاوز اروح الحمام.

إسماعيل: طب ما تروح.

سعيد: صح، بس انا ما اعرفش الحمام فين.

إسماعيل: أكيد هتلاقيه جوه الڤيلا.

سعيد: أنا رايح وراجع تاني، إوعى تخلَّص الجحيم لوحدك.

إسماعيل: عيب عليك، هاستناك في الركن البعيد الهادي.

ذهب سعيد ليقضي حاجته وكذلك ليجد له متنفَّسًا من الهواء النقي. وجد أمامه فتاةً شقراء رائعة الجمال ويبدو على ملامحها أنها تنتمي إلى السلالة الروسية أو جارتها الشرق أوروبية، ولاحظ أنها ترتدي زي الخادمات وتحمل صينيةً عليها أكواب الشربات.

سعيد (وهو يترنَّح من أثر أنفاس الحشيش): باقول لك إيه يا عسل: the WC what where?

الخادمة: This door (وأشارت إلى أحد الأبواب).

سعيد: Thanks يا مُزَّة (ونظرَت له الخادمة بامتعاضٍ كأنها تستنكر عليه لغته الإنجليزية الرديئة، ثم ذهبَت لحالها). أول مرة أشوف خدَّامة من سويسرا .

فتح سعيد الباب، فوجد رجلًا جالسًا فوق قاعدة الكابينيه ويمارس حقه الطبيعي في الضراط المتتالي. تفاجأ الرجل بدخول شخصٍ غريبٍ يقطع عليه خلوته.

الرجل: فيه إيه؟

سعيد: هو الحمام فين؟

الرجل: فيه حمام تاني فوق.

سعيد: آه، لامؤاخذة يا باشا. شخ براحتك (وأغلق باب الحمام ثم فتحه مرةً أخرى مخاطبًا الرجل الذي ما زال جالسًا في نفس وضعه السابق). طب ما فيش هنا مبولة؟ عاوز اطرطر بس.

الرجل: امشي يا أستاذ، ما يصحش كدا.

عندما وصل سعيد إلى الدور العلويّ وجد مجموعةً من الأبواب المتقابلة والمتجاورة. ازدادت حيرته حتى وضع لنفسه خطةً محكمةً تمكّنه من إيجاد باب الحمام.

سعيد: حادي بادي سيدي محمد البغدادي، شاله وحطه كله ع... هو أنا وقفت فين؟ أنا اتلخبطت، أنا هادخل من أي باب وخلاص.

فتح سعيد أحد الأبواب ببطء، ثم دسَّ رأسه من وراء الباب حتى يتأكَّد من أنه باب الحمام وأنه لا يوجد به أحدٌ يقضي حاجته. تأكَّد أنه على مشارف الباب المقصود، فدخل دخول الفاتحين. وقف أمام الحوض وفتح سوستة بنطلونه وبدأ يشعر بالراحة في إخراج قرابة لتر ونصف من البول الذي كان يملأ معدته.

حاول فتح صنبور المياه كي يغسل يده ولكن الصنبور غير مزوَّدٍ بحنفية، وإنما يعمل بالأشعة تحت الحمراء. بدأ يخبط بيده على الصنبور حتى يخرج ماءه، ولكن بلا فائدة. أمسك الصنبور بيده محاولًا فتحه، ولكن الصنبور انكسر في يده وخرج منه الماء المتدفِّق ليغمر الأرضية البورسلين. حاول أن يضع يده ليسد بها مكان الصنبور المكسور، وبالفعل نجحَت حيلته المؤقَّتة في سد الثغرة التي يخرج منها الماء. وتفتَّق ذهنه عن فكرة ربط الفوطة حول الصنبور المكسور حتى يمنع تدفق الماء من خلاله، وبينما حاول جاهدًا الإمساك بالفوطة ارتطمَت يده بعلبة الصابون السائل المصنوعة من الزجاج، فتكسَّر زجاجها واختلط الماء بالصابون فوق أرضية الحمام البورسلين. هنا في هذه اللحظة تيقَّن أن الهروب هو الحل حتى لا يعرف أحدٌ أنه المتسبِّب في كل هذه الفوضى.

بدأ سعيد في نزول درجات السلم بحذر، ولكنه تفاجأ ببعض الفتيات من صديقات العروس يصعدن درجات السلم وهن قادماتٌ نحوه. خشي سعيد من أن تراه إحداهن فتشي به عند خاله أو زوجة خاله، فيتهموه بالتسبب في خراب الحمام وربما الڤيلا بأكملها. تراجع مهرولًا ليحاول أن يختفي عن أنظار القادمات، فدخل إلى إحدى غرف النوم وأغلق بابها من خلفه حتى تكون له ملاذًا آمنًا إلى أن يهدأ الجو في الردهة، وعندئذ يخرج من تلك الغرفة وكأن شيئًا لم يكن. نظر سعيد حوله واطمئنَّ أنه في أمان، ولكنه نظر إلى قدميه .

سعيد: يا نهار اسود، يا نهار اسود؛ الشراب اتبل.

وجاءت الرياح بما لا يشتهي سعيد؛ إذ ازداد زحام المدعوين من الأقارب والأصدقاء في الخارج. وعلت الزغاريد وصوت الدفوف إيذانًا بخروج العروس من غرفتها كي يصطحبها أبوها من يدها وينزل بها

الدرج ويسلّمها إلى عريسها حسب التقاليد المحفوظة والتي لا يمكن لها أن تتغيَّر أو تتطوَّر.

وفي ذلك الوقت كانت نظيرة ما تزال جالسةً في مكانها تكلّم خالتها مديحة وتردُّ بالنيابة عنها، وكانت عيناها تبرقان وهي تتفقَّد كل صغيرةٍ وكبيرةٍ حولها وتتَّقدان كشعاع ليزر يدمِّر أهدافه المرصودة أمامه.

نظيرة (وهي تهزُّ كتفها الأيمن وتمصمص شفتيها): تلاقي العروسة قاعدة تحط الاحمر والاصفر والاخضر وهتطلع لنا دلوقتي فشر ميرفت أمين والا هند رستم. إيه؟ بتقولي إيه يا طنط؟ آه، على رأيك "لبِّس البوصة تبقى عروسة". هي غرمانة حاجة من جيبها؟! وعلى رأي المثل "اللي معاه فلوس تحيَّره يجيب حمام ويطيَّره". ما هو كله من فلوس ابوها المليونير، وتلاقي عريس بنته مليونير زيه، لأ مليونير إيه؟! دا ملياردير.

تقدَّمَت العروس بضع خطواتٍ إلى الأمام حتى توقَّفَت على مقربةٍ من حافة السلم، ويدها اليمنى متشبِّثةٌ بساعد أبيها الأيسر. وكان أفراد الفرقة يغنُّون مجتمعين الأغنية المعروفة بـ"حلو يا نجف". وبدأت الفتيات في رقصاتهن التي قد تجذب إليهن العرسان. استغل سعيد ذلك الزحام واندسَّ وسط الفتيات متظاهرًا بالانهماك في الرقص معهن. أمسكَت إحداهن بيد عوني الذي تظاهر بالكسوف في بادئ الأمر، ولكنه بدأ في الرقص العشوائيّ مع صديقة ابنته.

وانهمكَت الفتيات في الرقص؛ حيث أرادت كلٌّ منهن إخراج سهير زكي التي بداخلها، وكذلك بدأ عوني يسخن في الرقص هو الآخَر.

لم يلحظ أي أحدٍ منهم تسرُّب المياه المحمَّلة بالصابون قادمةً من الحمام. أمسك عوني جاكتة بذلته ونظر إلى الأعلى، ولكن اختلَّ توازنه حيث كاد أن يتزحلق بسبب تدفُّق الماء المختلط بالصابون أسفل قدمه لولا أنه اصطدم بخصر ابنته نرمين التي لم تستطع أن تتمالك نفسها، فسقطَت متدحرجةً على درجات السلم الرخاميّ. لم يسلم جسد نرمين من الخبطات المتواصلة وظهرَت آثار الكدمات واضحةً على وجهها ويديها وكتفها وظهرها، لكنها لم تشعر بكل هذا بسبب نزولها بعد التدحرج واقفةً على قدميها وأيضًا بسبب انشغالها بقميص عريسها الذي أصابته بقع الشربات الأحمر بعدما حاول الجرسون الذي كان يحمل صينيةً من الشربات أن يتفادى كريزة الضحك التي أصابته جراء سقوط العروس من على السلم، ولكنه لم يستطع إلى ذلك سبيلًا، فوقعت الصينية من يده لتصيب هدفها في القفص الصدريّ لعريس الغفلة، مما أضحك الحاضرين.

وعندما رأت نرمين هذا الموقف أصابتها كريزة من الضحك، مما أغضب عريسها الذي قرَّر فجأةً أن يلطمها على خدها الأيسر. دوَّت صفعته لها عاليةً حتى تعاطف سعيد مع ابنة خاله، فوقف أمام العريس مباشرةً.

سعيد: الراجل اللي يمد إيده على واحدة ست ما يبقاش راجل (ولم يكد ينتهي من كلامه حتى صفع العريس قلمًا مدوِّيًا على خده الأيسر).

العريس (واضعًا يده على خده مكان القلم): أنا هاعلّمك ازاي تكلّم أسيادك يا حيوان.

سعيد: أنا حيوان يا ابن الكلب؟ (ولم يكد ينتهي من كلامه حتى صفع العريس قلمًا ثانيًا على خده الأيمن).

العريس: !Oh my God (متفاجئًا بالقلم الثاني الذي استقبله على خده الأيمن).

سعيد: وكمان بتشتم بالفرنساوي يا كلب؟! (ولم يكد ينتهي من كلامه حتى صفع العريس قلمًا ثالثًا على نفس الخد الأول).

أيقن العريس أن خده لن يتحمَّل قلمًا رابعًا، فألقى نظرة اشمئزازٍ فيما بين سعيد ونرمين، وهمَّ بالانصراف.

عوني (وقد انطلق مهرولًا خلف العريس ليهدِّئ من روعه): استهدا بالله يا سامر يا ابني؛ ما كانوش جوزين اقلام هيخسَّرونا بعض.

العريس: أنا اتهزَّأت في بيتك يا أونكل قدام الناس.

عوني: يا راجل ما تكبَّرش الموضوع.

العريس: كدا فل يا عوني، من النهارده تعتبر الشراكة اللي ما بينا انفضِّت وفرَّجني بقى ازاي هتسدِّد الشيكات اللي عليك. آه بالمناسبة، بنتك طالق، طالق بالتلاتة.

وذهب العريس بعدما أُصيب الجميع بحالةٍ من الذهول بسبب ما حدث من تحوُّلٍ مأساويٍّ للأحداث التي كانت تبدو مبهجة. وضع عوني يده على صدره ليفتح أزرار قميصه، ثم سقط على الأرض مغشيًّا عليه من أثر الصدمة، ورقعَت جيلان بالصوت.

جيلان: حد يطلب الإسعاف بسرعة.

وفجأة تحوَّل بهو الڤيلا إلى حالةٍ من الهرج والمرج أو بالأحرى إلى ساحةٍ للجري. وجلسَت نرمين على الأرض بجوار أبيها الراقد بلا حراك ومن ورائها مصوِّر الڤيديو يوثِّق الأحداث صوتًا وصورة، ثم جلسَت جيلان بجوار ابنتها على فستانها المنفوش كي تطمئنَّ على زوجها.

جيلان (وهي تبكي أحر البكاء): ما لك يا عوني؟ حصل لك إيه؟

جاء الحضور من الخارج ليشاهدوا الأحداث حصريًّا، والتفَّ الكثير منهم في شكل دائرةٍ حول عوني، كأنكهم يشاهدون مباراةً في حلبة ملاكمة، حتى إن بعضهم كان يصوِّر لقطاتٍ حيةً من خلال هاتفه المحمول.

سعيد: أنا طلبت الإسعاف وقدامهم أربع ساعات.

جيلان (وهي جالسةٌ في مكانها تنظر إلى سعيد في غضب): إنت السبب في كل دا.

عوني: لا يا جيلان، سعيد ما لوش ذنب؛ الذنب ذنبي أنا، أنا اللي كنت بابيع بنتي جارية في سوق العبيد وكنت فاكر إني بأمِّن لها مستقبلها مع اللي يدفع أكتر، أنا السبب، أنا السبب، سامحوني، أرجوكم سامحوني.

نظيرة (وقد دخلَت فجأةً بعدما استطاعت تجاوز الصفوف المتراصة): إنت فين يا عوني؟ سلامتك يا اخويا. جرى لك إيه يا حبيبي؟ يا اختي اوعي كدا من وشي، وانت بتصوَّر إيه؟ جاتك البلا. ما كانش يومك يا عوني يا ابن امي وابويا، عين وصابتك يا اخويا.

عوني: لأ ما انا عرفت يا نظيرة.

نظيرة: شدة وتزول، بكرة تقوم وتبقى زي الحصان.

عوني: أنا خلاص خسرت كل حاجة يا نظيرة. احمدي ربنا انك واقفة على رجليكي وصحتك زي البمب.

أنهى عوني كلامه، فارتدَّ السحر على الساحر؛ حيث وقعَت النجفة فوق رأس نظيرة مباشرةً. وبعد مرور أسبوعٍ على الفرح المشئوم كانت نظيرة مستلقيةً فوق أحد أسرَّة المستشفى العام لتتلقَّى علاجها نتيجة إصابتها بكسورٍ وجروحٍ بعدما سقطت النجفة فوق نافوخها وضلوعها، وقد استوجب علاجها عدة جبائر جبسيةٍ حول جسدها ورقبتها. وفوق السرير المقابل لسرير نظيرة استلقَت طنط مديحة ومن حولها الجبائر الجبسية تغطِّي جسدها النحيف.

مروان شوكت المانسترلي

ورونا عطية طنابيش

في حديقة النادي الجميلة المملتئة بالأشجار والورود حيث توجد نافورةٌ صغيرةٌ يضفي خرير الماء المتدفِّق منها جوًّا من الهدوء والراحة، جلس ثلاثة شبَّانٍ مدلَّلين: شريف وزياد وتامر على مقعدٍ خشبيٍّ تحت ظلال الأشجار الوارفة في إحدى الحدائق المخصَّصة لرواد النادي العريق. لم يبلغ هؤلاء الفتية سن الرشد بعد، ولكنهم اعتادوا على الحياة المترفة حيث لا ضابطَ ولا رابطَ لسلوكهم. كانوا يمرحون ويتضاحكون بصوتٍ عالٍ، مستهترين بكل مَن حولهم. يتبادلون النكات البذيئة كأنهم وحدهم في هذا العالم، وكأن المكان الذي يجلسون فيه ليس له احترامه ووقاره.

كانت ضحكاتهم تقتحم سكون الحديقة وتزلزل هدوءها الذي اعتاد عليه روَّادها من شيوخٍ وعائلاتٍ جاءوا يطلبون السكينة والراحة في هذا النادي العريق. وكلما ارتفع صوتهم وتزايدت هتافاتهم الصاخبة ازداد استياء الحاضرين وامتعاضهم من هذا المستوى المتدنِّي من الأخلاق الذي وصل إليه هؤلاء الشباب.

وجلس أحد روَّاد النادي ممَّن بلغَت بهم الشيخوخة ما بلغَت على مقعدٍ قريبٍ منهم، وكان يراقبهم بعينين مشتعلتين بالغضب. هذا الرجل الذي أمضى عمره في احترام التقاليد والأعراف وجد نفسه محاطًا بمثل هذا الاستهتار الصارخ. لم يستطع الصمت أكثر، فصاح بصوتٍ جهوريٍّ متأثِّرًا بثقل السنين وخيبة الأمل، لكن صوته الذي كان يحمل معه حكمة السنوات الطويلة ضاع وسط ضجيج ضحكاتهم، وكأن الرياح حملَته بعيدًا ليذوب في الهواء.

الرجل: يا ابني عيب اللي انتو بتعملوه دا.

تامر (بصوته المائع بين الجد والهزل): اللي مش عاجبه يسد ودانه.

شريف (بنفس فظاظة زميله): طب ما تيجي ألف لك جوينت ينعنشك في اليومين اللي باقيين لك قبل ما يودوك للحانوتي.

الرجل: إنت باين عليك قليل الأدب ومش متربِّي، أنا هانده لك الأمن.

شريف (غير ملتفتٍ إلى الشيخ بل موجِّهًا الخطاب إليه وهو متوجِّهٌ بنظره ناحية زميليه كأنه يأمرهم بالضحك على ما سيقوله للشيخ): بس حاسب لا تقابل عزرائيل وياخدك معاه.

زياد: عيب كدا يا شريف؛ الراجل في سن جدك.

شريف: يبقى يحترم سنه ويقعد ساكت، غير كدا ياخد بالجزمة.

تامر: بصوا مين اللي جاي هناك.

شريف: الراجل الأنتيكة لحق يجيب بتوع الأمن؟

زياد: إيه دا؟ دا مروان.

شريف: مروان؟

زياد: أيوه، هو مروان شوكت المانسترلي.

شريف: ودا إيه اللي جابه؟

تامر: ما حدش بقى بيشوفه من ساعة ما أبوه فلّس.

زياد: البنوك حجزت على كل ممتلكاتهم.

شريف: وهو باع هدومه والا لسه؟

تامر: شكله كدا جاي يستلف من حد فينا.

زياد: ما اظنش.

مروان (ارتسمَت على وجهه ابتسامةٌ باهتة): أصدقائي الأوساخ، عاملين إيه؟ (وجلس بجوارهم على كرسيٍّ غير مشغولٍ حول المنضدة، ثم نظر في أعينهم مليًّا).

تامر: فيه إيه يا مروان؟ إنت جاي هنا علشان تهزَّأنا؟ (وحاول أن يصطنع الابتسام).

مروان: لأ، التهزيق لسه دوره ما جاش، بس إوعوا تفتكروا اني جاي أعاتبكوا وأقول لكو اني كنت مخدوع فيكو وفاكركوا اصحابي بجد وانكو للأسف طلعتوا فالصو، رغم اني وقفت كتير قوي جنب كل واحد فيكو.

شريف: شوف يا مارو، أنا اتخلقت في الدنيا دي علشان اتبسط، وانا بقى علشان اتبسط بادفع فلوس وفلوس كتير قوي كمان، وانت دلوقتي ما بقاش معاك، وانا عارف انك بني آدم حسيس ومش هترضى إنك تبرشط على صحابك، بس انا هاعمل بأصلي ومش هاسيبك في زنقتك، خد الميت جنيه دي خلّيها معاك.

مروان: حط فلوسك في جيبك يا شريف؛ أنا مش جاي هنا علشان اشحت منك.

شريف: مش أحسن ما تشحت من الغريب؟

مروان: تخيَّل يا شريف اني عمري ما اتخيِّلت انك واطي بالشكل دا؟

شريف: دا بدل ما تشكرني اني عاوز اساعدك انت وأهلك اللي يا حرام مش لاقيين ياكلوا؟ (وضحك الشباب الثلاثة ضحكةً مكتومةً وسط نظراتٍ من الازدراء التي أطلقَتها عينا مروان ناحيتهم).

تامر: إنت حر يا مارو، بس تعرف؟ إنت لو وقفت تشحت قدام أي باب جامع هتكسب دهب.

مروان: بلاش انت بالذات تتكلم عن الشحاتة يا تامر والا نسيت يوم ما جيت تشحت مني فلوس علشان صاحبتك ماهيتاب تروح المستشفى وتنزِّل الجنين اللي في بطنها؟ أخ، دا انا نسيت ان ماهيتاب صاحبتك تبقى أخت صاحبك شريف أنتيمك. كان واجب عليك تقول له وهو كان أول واحد هيفرح لك؛ أصل الخال والد برضه (وانقطع صوت الضحك بعدما انتهى من كلامه، وتحوَّل شريف بناظريه إلى تامر في غضبٍ لم يروا منه مثيلًا له من قبل).

تامر (وقد وقف خلف صديقه زياد كأنه يحاول أن يستجديه لحمايته من غضبة شريف): ما تصدقوش يا شريف؛ دا كدَّاب وعاوز يوقِّع بينا (وتلعثمَت الكلمات فوق لسانه وتضاعف الخوف البادي عليه بعدما أخرج شريف مطواة من جيبه وفتحها في وجهه).

زياد: اعقل يا شريف.

تامر: أنا ممكن أصلِّح كل حاجة، ولعلمك انا كنت ناوي أفاتح ابويا في الموضوع علشان اتجوز ماهيتاب ونصلِّح غلطتنا.

وفي تلك الأثناء كان مروان يشاهد الحدث مبتسمًا كأنه يستمتع بما آلت إليه الأمور، وقبل أن يتهيَّأ مروان للانصراف وقعَت عيناه على مفتاح سيارة شريف الموضوع فوق الترابيزة، فسرق المفتاح دون أن يدري به أحدٌ من أصدقائه القدامى الذين انشغلوا عنه بالشجار فيما بينهم. وبمجرد انصراف مروان عاد الشيخ ومعه اثنان من أفراد أمن النادي اللذين حاولا السيطرة على الموقف، ولكن شريف حاول مقاومتهما فأصاب صديقه زياد بطعنةٍ في بطنه سقط على أثرها وسط ذهول الجميع. وأحكم رجلا الأمن قبضتهما على شريف تمهيدًا لتسليمه إلى الشرطة.

لم يكترث مروان بالمشاجرة وأكمل طريقه مسرعًا نحو موقف السيارات، وأدار محرِّك سيارة شريف وانطلق بها بعدما تأكَّد أن أحدًا لم يره أثناء قيامه بالاستيلاء على السيارة. كبح على الفرامل فجأةً إذ كاد أن يدهس عسكري المرور بسيارته المسروقة بسبب شروده أثناء القيادة.

مروان (مترجِّلًا من السيارة للاطمئنان على عسكري المرور):

- إنت كويس؟

العسكري: الحمد لله، جات سليمة.

مروان: جات سليمة يعني إيه؟ إنت مش هتاخد نمرة العربية؟

العسكري: لأ؛ أصل انا ما باعرفش اكتب.

مروان: أمَّال ماسك الدفتر ليه؟ منظرة؟ هات الدفتر وانا هاكتب لك النمرة.

العسكري: ما لوش لازمة يا بيه، المسامح كريم.

مروان: تلاتة بالله العظيم أبدًا، أنا حلفت والا عاوزني أصوم تلات أيام؟ وبعدين حقك انت تسامح فيه براحتك، إنما فين حق الحكومة؟ والا انت عاوز تاكل حق البلد؟ (ثم تناول دفتر المخالفات من يد العسكري ونقل رقم اللوحات المعدنية لسيارة شريف).

العسكري: يا بيه إنت عاوز تأذي نفسك والا إيه؟

مروان: أهو نمرة العربية أ ب ت ث ١٠٢٠٣٠، فيه عندنا مخالفة سرعة وسير عكس اتجاه وإشغال طريق وممكن اتنين حزام أمان، كدا كويس والا نضيف حاجة تانية مع الأوردر؟

العسكري: هاه؟

مروان: وعاوزك بقى توزِّع نمرة العربية دي على كل حبايبك في الداخلية.

العسكري: هادِّيها لحظَّابط محمَّا.

مروان: للظابط محمد والظابط محمود والأمين حسين ولو ليك زمايل في شرطة السياحة والا الآداب ابعت لهم النمرة بالمرة. إن شا الله ما حد حوِّش.

العسكري: حاضر يا بيه، مش هاسلاك.

شعر مروان بيدٍ غليظةٍ تهبط على كتفه تزغده بطريقةٍ همجيةٍ خلت من كل رفق. ارتعش جسده للحظة، وأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يلتفت خلفه. لكن قبل أن تكتمل استدارته تسلَّل إلى مسمعيه صوتٌ أنثويٌّ منخفضٌ لكنه غليظ، ويحمل مزيجًا من الجرأة والعتاب. كان الصوت مليئًا بالعزم، وكأنه يخرج من قلبٍ لم يتردَّد في مواجهة أي تحدٍّ. توقَّف مروان للحظةٍ مأخوذًا بين ارتباكه وتوقعاته. لم يكن الصوت ناعمًا أو خجولًا كما قد يتوقَّعه، بل كان قويًّا ثابتًا، لا يعترف بالتردُّد أو الخوف. كانت الكلمات تتسلَّل إلى قلبه كسهامٍ من نار، تبثُّ داخله شعورًا غامضًا بين الفضول والانزعاج، وكأن صاحبة الصوت جاءت لتكشف له شيئًا لم يكن مستعدًّا لمواجهته.

وجد مروان أمامه فتاةً شابةً غير بهية الطلة، وهي أقرب إلى الدمامة من الحسن، ويمكن القول إن ملابسها ذات الألوان المتعدِّدة والمتداخلة ولفة طرحتها الميزامبليه قد زادت من دمامتها. كانت الفتاة ترتدي فستانًا تزاحمَت ألوانه المتباينة فيما بينها ومن تحته بادي كارينا باللون الأخضر وبنطلونًا قطنيًّا أشبه بالكلسون، ومن فوق رأسها طرحة مزركشة تبدو مثل الخابور المستدير بسبب تسريحة شعرها الشينيون المختفي من تحت الحجاب عدا خصلةً واحدةً تحدِّد للرائي لون شعرها الأسود. لم يجد مروان كلامًا مناسبًا يقوله لها، فراح ببصره عن يمينه ويساره حتى استرعت انتباهه بائعة ذرةٍ على قارعة الطريق.

مروان (ناظرًا إلى الفتاة): تاكلي درة؟

لم تردَّ الفتاة على طلبه بالإيجاب أو بالنفي، بل ظلَّت متعجِّبةً من تلك الدعوة الغريبة. ولم ينتظر مروان منها الرد بل سارع إلى بائعة الذرة واشترى منها كوزين من الذرة المشوية. وجلس مروان مع الفتاة فوق كبوت السيارة وبدأ يقصُّ عليها قصته من بدايتها وحتى سرقته للسيارة بغرض الانتقام من صاحبها، أما الفتاة فكانت تصغى إليه باهتمامٍ شديدٍ لروايته ليس لكونه بارعًا في سرد قصته وإنما بسبب وسامته المفرطة ورائحة عطره الفوَّاحة.

مروان: أنا بصراحة مش عارف ليه باحكي لك تفاصيل حياتي، بس حقيقي كنت محتاج "ميديتيشن".

الفتاة: محتاج إيه؟

مروان: مش مهم. هو انتي اسمك إيه؟

الفتاة: روناء (بترقيق الراء).

مروان: أفندم؟

روناء: أنا إسمي روناء عطية طنابيش.

مروان: يعني إيه؟

روناء: عارف الطرشي؟

مروان: آه، قصدك إن إسم روناء معناه حاجة مخلِّلة؟

روناء: لأ؛ أصل انا ابويا يبقى عطية طنابيش صاحب أكبر معامل طرشي في بر مصر تِمَّن. إنت ما سمعتش عنه قبل كدا والا إيه؟

مروان: لأ؛ أصل انا ما ليش في الطرشي.

روناء: تلاقيك من بتوع الباتون "ساليخ" والكورن "فْليسك".

مروان: دا حقيقي.

روناء: تعرف يا مروان ان حياتنا احنا الاتنين ماشية عكس بعض في كل حاجة؟

مروان: قصدك إيه؟

روناء: قصدي ان انت من عيلة هاي لايت وأصل وفصل، بس ما حيلتكش حاجة، أما انا بقى أبويا بِحتِكِم على فلوس زي الرز، بس هو في الأول راجل بسيط ما بيعرفش يفك الخط.

مروان: آه، nouveau riche.

رورناء: مين؟

مروان: ما تاخديش في بالك.

روناء: تخيَّل انه فاكر الفلوس هتبوَّظ أخلاقي لو بحبحها عليا شوية؟

مروان: منطق غريب قوي؛ أمَّال هي الفلوس اتعملت ليه غير إننا نتمتع بيها؟

روناء: عندك حق، عارف ياض يا مروان؟ أنا عمري ما اتمتعت بالفلوس رغم انها موجودة بالكوم. طول عمري بتمنَّى لو يبقى معايا فلوس في إيدي علشان اجيب لبس واخرج واتفسح وآكل "باسطا" بالصوص الابيض واشرب "كابَشتينو" أبو رغوة.

مروان: "كابَشتينو" أبو رغوة؟! دا آخِر طموحك؟! anyway يا اسمك إيه إنتي، إحنا كدا وصلنا لنقطة مشترَكة بينا؛ أنا مش

عارف اعيش كويس علشان ما معاييش فلوس وانتي مش عارفة تعيشي كويس علشان مش طايلة الفلوس.

روناء: والختمة الشريفة صح.

مروان: طب إيه رأيك لو قلت لك اني لقيت حل لمشكلتي ومشكلتك؟

روناء: هتتجوزني؟

مروان: لأ طبعًا، أنا هاخطفك بس.

روناء: تخطف مين يلا يا كوتوموتو؟! وكتاب الله إنت لو هوِّبت ناحيتي لاشقَّك نصين.

مروان: اسمعيني بس، أنا هاخطفك كدا وكدا.

روناء: يعني إيه؟

مروان: يعني نعمل تمثيلية الخطف دي على ابوكي ونطلب منه فدية مليون جنيه ونقسم الفلوس بالنص.

روناء: وافرض بقى انه بلَّغ البوليس؟

مروان: مش هيبلَّغ وهيدفع.

روناء: وجبت منين الثقة دي كلها؟

مروان: أنا عاوزك تتطمِّني ع الآخِر وما تخافيش؛ أنا عامل حساب كل حاجة.

روناء: والله إنت شكلك هجَّاص وهتودِّينا في داهية.

مروان: ما تخافيش وبعدين no risk no fun.

روناء: لأ طبعًا غلط، إوعى تركب ميني باص؛ هيقعد يلف بيك ع الفاضي.

مروان: أنت بتقولي إيه؟ بصي ابعتي لي لوكيشن وأنا هاطلب أوبر.

روناء: أوبر إيه ياض يا فرفور انت؟ ما تنشف ياض.

مروان: طيب خلاص، قولي لي أركب إيه.

روناء: "زمبقول لك كتا"، إنت هتركب من هنا أي "موكروباز" من اللي بيروحوا الزاوية، وهتقول للسوَّاق ينزِّلك عند قهوة "المقاطيع"، وبعدين تركب توكتوك وتقول له يوصَّلك حارة "المستكوفي"، ولما توصل هناك هتلاقي هناك ألف مِن يدلَّك على بيت المعلَّم عطية طنابيش.

مروان: تمام كدا انا فهمت، بس أهم حاجة تقفلي موبايلك وتفضلي جوه العربية، ما تتحركيش منها لحد ما ارجع.

روناء: بس انت ما تعوَّقش عليا (وتنهَّدَت تنهيدةً طويلة).

مروان: يا شيخة اتلهي.

وعندما نزل مروان من التوكتوك سارع إليه أحد الشباب الواقفين على قارعة الطريق. وكان هذا الشاب مريب الهيئة؛ إذ كان يتلتفَّت عن يمينه وعن يساره قبل أن يبدأ بالكلام، وكانت ملابسه السوداء تزيد من غموضه وريبته. وتزين وجهه بعدة جروحٍ ملتئمةٍ نتجَت من المطاوي والأمواس، كما تزيَّن شعره القصير بخطٍّ جانبيٍّ يُظهِرُ فروة رأسه. والجدير بالذكر أن أسنانه الأمامية كانت بارزةً للأمام، مما دعا أصحابه لتسميته باسم سنجاب. وبعد فترةٍ وجيزةٍ من الصمت الواقع بين مروان وسنجاب؛ إذ كان كلٌّ منهما يتفحَّص الآخَر في ريبة، قطع سنجاب الصمت؛ إذ التفت حوله وهو يدور حول مروان.

سنجاب (واضعًا إبهامه على جانب فمه): عاوز تِقضِي؟

مروان: أقضِي إيه؟

سنجاب: تِقضِي حاجة.

مروان: لأ، مش عاوز اروح التواليت.

سنجاب: تَلاويت إيه يا جدع انت؟ وانا ما لي بشختك؟

مروان: احترم نفسك، إنت مش عارف انت بتكلّم مين يا حيوان؟

سنجاب: إنت شكلك مرشد.

مروان: ميرسيه لذوقك.

سنجاب: إنت شكلك كدا جاي تسوق الهبل، وانا خُلْقي ضيق.

مروان: طب ما توسَّعه يا زميلي (مصطنعًا الهزار وكأنه بُرَم).

سنجاب: تصدَّق؟ أنا شكلي هاعملها معاك.

مروان: هي إيه اللي هتعملها معايا؟

سنجاب: توب علينا يا رب. قلّب نفسك ياه (وأخرج مطواةً من جيبه وفتحها في وجه مروان).

مروان: أقلّب نفسي ازاي؟! هو أنا معلقة؟!

سنجاب: ما تعصبنيش أكتر من كدا، قلّب نفسك.

مروان: حضرتك قل لي طريقة التقليب وانا اقلّب على طول.

سنجاب: تصدَّق ان شكلي هازفَّر المطوة النهارده؟

مروان: هو حضرتك بتاكل بيها؟

سنجاب: لأ، بس هاخلّيها تزغرط على وشك.

مروان: هي فيها أوپشن زغاريط؟

سنجاب: تحب تشوف؟

مروان: يا ريت، بس الأول كنت عاوز اسألك عن بيت المعلِّم عطية طنابيش.

سنجاب (واضعًا المطواة في جيبه بعد أن كاد يلطِّخها بدماء مروان): طب مش كنت تقول من الأول يا أستاذ انك ضيف المعلِّم عطية؟ يا تلتميت مليون أهلًا. أنا من أول ما شفتك وانا ارتحت لك قوي، وعلشان كدا هاوصَّلك لحد باب البيت لاحسن حد من العيال اللَّبش يقل عقله كدا والا كدا، بس أمانة عليك إوعى تقول له اني ضايقتك في أيتها حاجة لا يزعل مني؛ حاكم هو زعله وحش قوي.

مروان: لا اتطمن يا أخ...

سنجاب: محسوبك سنجاب (وسحب مروان من يده ليرشده إلى مكان البيت).

مروان: تشرَّفنا يا أستاذ سنجاب.

سنجاب: هو دا البيت، ولو احتجت أيتها حاجة أنا في الخدمة.

مروان: Thank you.

سنجاب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قرع مروان الجرس فلم يُجِب أحد، ثم خبط براحة يده على الباب ففتحَت له الباب امرأةٌ بدينة، وهي اعتدال أم روناء وزوجة المعلِّم عطية طنابيش.

إعتدال: جبت الفراخ يا مدعوق؟

مروان: لأ، حضرتك أنا مش بتاع فراخ.

إعتدال: أمَّال عاوز ايه يا بعيد؟

مروان: حضرتك الأستاذ عطية طنابيش؟

إعتدال: لا يا اخويا؛ أنا المُدام. ثواني وأنده لك المعلِّم عطية. عطية، يا عطية.

أتى رجلٌ بدينٌ يرتدي جلبابًا أبيض وبدت عليه بعض سمات الشيخوخة المبكِّرة؛ إذ غزا اللون الأبيض خصلات شعره الأسود.

عطية: مين ع الباب يا اعتدال؟

إعتدال: أنا عارفة البلاوي دي بتتحدِّف علينا من آني داهية؟

مروان: أنا الرائد علوي علوان من مباحث الكونفدرالية العليا (وتقدَّم خطوةً للأمام حتى يعبر برأسه من الباب).

عطية: خير يا حضرة الظابط؟ براميل الطرشي جرى لها حاجة؟

مروان: اتطمن يا حاج؛ البراميل بخير، لكن للأسف الشديد أنا جاي أبلِّغك ان عصابة الفك المفترس خطفت بنتك روناء.

إعتدال: هار اسود (وشهقَت وهي تلطم خديها).

مروان: مش بس كدا يا هانم؛ دول كمان طالبين فدية.

إعتدال: هار اسود (وشهقَت اعتدال وهي تلطم خديها مرةً أخرى).

مروان: فدية مليون جنيه.

إعتدال: هار... (وشهقَت للمرة الثالثة ولكن عطية نهاها عن ذلك مقاطعًا إياها).

عطية: ما تهمدي يا ولية لما نشوف النصيبة السودا اللي احنا فيها.

إعتدال: أنا عاوزة بنتي يا عطية، هاتوا لي بنتي يا ناس.

عطية: استهدي بالله يا اعتدال علشان حضرة الظابط يعرف يشوف شغله.

مروان: أنا مش عاوزكم تقلقوا خالص؛ إحنا مسيطرين على الموقف تمامًا.

عطية: بس عدم اللامؤاخذة يعني ما حدش من العصابة اتصل بينا.

مروان: واحنا لسه هنستنى لما يتصلوا بيكو علشان نتحرك؟! جرى إيه يا أستاذ؟! هو احنا بنلعب؟! تلاقيهم بيدوَّروا على رقمك في الدليل أو بيشحنوا كارت فكة. عمومًا احنا مراقبين تليفونك وتليفون الترزي اللي على الناصية.

إعتدال: عشت يا اخويا.

مروان: مش بس كدا؛ لأ، احنا مراقبين كل تحركات العصابة عن طريق الأقمار الصناعية والغواصة ١٠٧ المرتكزة في مكان سري عند كورنيش روض الفرج.

عطية: بسم الله ما شاء الله، عشان كدا قدرتوا تعرفوا الفدية قبل ما العصابة يكلموني؟ طب ما تقبضوا على العصابة وترجَّعوا لي بنتي طالما انتو عارفين كل حاجة.

مروان: شوف يا سيد عطية، القيادات في وزارة الداخلية رسموا خطة مُحكَمة للقبض على العصابة الشريرة؛ الخطة هي إننا ندفع لهم المليون جنيه وبعدين نقبض عليهم متلبِّسين بالجريمة.

رن جرس تليفون عطية وظهر عليه رقم روناء.

عطية: دي روناء.

إعتدال: بنتي حبيبتي. يا لهوي، يا لهوي، يا لهوي.

فتح عطية الخط بعدما شغَّل الاسبيكر حتى يكون صوت ابنته مسموعًا للضابط وللأم المكلومة الواقفَين بجواره.

روناء: أيوه يا بابا، ما تقلقوش عليا؛ أنا مخطوفة بس.

عطية: ما نقلقش عليكي إزاي يا بت؟! هو انتي مخطوفة في دريم بارك؟!

روناء: إوعى تبلَّغ البوليس يا بابا لاحسن العصابة يقتلوني. أنا خلاص بلَّغت البوليس السري وزمان الجدع الظابط الحليوة جاي لكو في السكة.

عطية: آه، ما هو جالنا اهو، بس انتي عرفتي منين انه جدع حليوة؟

روناء: أصله جه يزورني في الخطف.

عطية: فيه الخير والله.

روناء: المهم يا بابا عاوزة اقول لك حاجة مهمة قوي قبل ما الرصيد يخلص: العصابة طالبين مننا فدية مليون جنيه. إدِّيهم للظابط وهو أول ما يقبض على أفراد العصابة هيرجَّعهم لك تاني.

عطية: حاضر يا روناء، المهم ترجعي لنا بألف سلامة.

إعتدال: إنتي كويسة يا ضنايا؟

رونــاء: أيوه، أنا كويسة يا ماما، بس لازم اقفل دلوقتي علشان العصابة ما يتوغوشوش عليا.

إعتدال: مع السلامة يا حبيبتي، خلّي بالك من نفسك وسلّمي لي ع العصابة (وعادت لبكائها بعدما أغلقَت روناء الخط).

مروان: زي ما قلت لك يا سيد عطية، إحنا واضعين خطة مُحكَمة علشان نستدرج العصابة ونقبض على الراس الكبيرة.

عطية: طيب ما ينفعش تقبضوا على العصابة وترجَّعوا لي البت بنتي من غير ما ادفع حاجة؟

مروان: الحقيقة إن القيادات في وزارة الداخلية إتصلوا بالسيد وزير المالية علشان يدبَّروا المليون جنيه، بس للأسف الشديد الموظف المسئول اللي معاه مفتاح الخزنة واخد أجازة أسبوع.

عطية: آه، عشان كدا بيقولوا البلد ما فيهاش فلوس اليومين دول؟

مروان: بالظبط كدا.

عطية: طب حيث كدا يا حضرة الظابط ادِّيني عشر دقايق أحضَّر لك الفلوس، بس أمانة عليك يا شيخ أول ما تقبضوا على العصابة ترجَّعهم لي تاني عشان دي فلوس ناس.

مروان: اتطمن يا سيد عطية؛ فلوسك هترجع لك في خلال ٢٤ ساعة وفوقيها كمان وسام الشجاعة من وزارة الداخلية. يالا يا بطل جهِّز الفلوس علشان مصر وعلشان بنتك ترجع لك بالسلامة.

عطية: شوفي الباشا يشرب إيه يا اعتدال.

مروان: ما لوش لزوم يا طنط اعتدال.

وذهب المعلِّم عطية إلى غرفة نومه حتى يحضِّر المبلغ المطلوب بينما لبَّت اعتدال طلب زوجها وجاءت للضابط بصينيةٍ وفوقها كوبٌ من العصير أحمر اللون.

مروان: دا عصير فراولة؟ (وتناول رشفةً طويلةً من الكوب).

إعتدال: لأ؛ دي مية طرشي إكسِرا.

مروان (باصقًا الرشفة التي تناولها من كوب عصير الطرشي): تِسلَم إيدك.

وعندما تأكَّد مروان من أن لا أحدَ يراه سكب عصير الطرشي من الشبَّاك، فوقع على رأس سنجاب الذي كان يقف تحت البيت يدخِّن سيجارة حشيش.

سنجاب: إنتو يا عالَم يا سَو، جاتكوا القرف (ثم رنَّ هاتفه المحمول). آلو يا روناء، إنتي فينك يا بت من صباحية ربنا؟

روناء: وحشتك يا سنجابي؟

سنجاب: إلا وحشتيني؛ دا انتي الحب الحب، القلب القلب، الشهوة الشهوة.

روناء: كلامك حلو يا سنجابي يا حبيبي.

سنجاب: إنتي لسه شفتي حاجة؟ لولاش بس ان ابوكي رافض موضوع جوازنا.

روناء: طب اسمعني كويس يا سنجاب وفتَّح ودانك معايا.

سنجاب: خير؟

روناء: فيه عيل طري كدا موجود مع ابويا في البيت وهينزل من عنده بعد شوية ومعاه شنطة فيها مليون جنيه.

سنجاب: يا دين النبي! مليون جنيه؟! ليه هيشتري محافظة الكاهرة؟!

روناء: إنت كل اللي عليك إنك تُقطُره وتثبِّت منه الشنطة، وهابقى اكلِّمك تاني أقول لك انا فين عشان تجيب الفلوس وتيجي قوام.

سنجاب: طب ما انا ادِّيهم لعم عطية وخلاص بدل ما آجي لك وأنا شايل مبلغ زي دا.

روناء: ما ينفعش؛ إنت هتدِّيني الفلوس أخبِّيهم في حتة أمان، وبعد كام يوم ادِّيهم لك؛ عشان لما أبويا يلاقي معاك فلوس يوافق إنك تخطبني على طول. فهمت يا سنجابي والا اقول تاني؟

سنجاب: يا بنت الجنيَّة! دا انتي دماغك برلنت يا بت يا روناء.

دخلت اعتدال على زوجها عطية في غرفة النوم، فوجدَته منهمكًا في حشو أوراق جرائد قديمةٍ داخل حقيبةٍ سوداء.

إعتدال: يا ندامتي! إنت بتعمل إيه يا عطية؟

عطية: زي ما انتي شايفة؛ باحط ورق جرايد بدل الفلوس.

إعتدال: ليه يا عطية؟ إنت مش خايف على بنتك؟

عطية: خايف عليها زيك بالظبط ويمكن أكتر، بس أنا لازمن برضك أعمل حساب الظروف.

إعتدال: مش فاهمة يا سي عطية، نوَّرني.

عطية: مش جايز العصابة يكشفوا حقيقة الظابط دا ويخطفوه هو كمان؟

إعتدال: آه.

عطية: ساعتها بقى تفتكري إيه اللي هيحصل؟

إعتدال: إيه؟

عطية: العصابة هيكلمونا ويطلبوا الفدية.

إعتدال: وبعدين؟

عطية: هندِّيهم الفلوس وناخد بنتنا ويا دار ما دخلك شر.

إعتدال: والله عندك حق وكلامك موزون.

وأغلق عطية الحقيبة بإحكامٍ وأعطاها لمروان.

مروان: مصر مش هتنسى لك وقفتك جنبها يا سيد عطية.

عطية: وانا رقبتي فدا البلد يا باشا.

احتضن مروان عطية مودِّعًا إياه، ثم نزل على السلالم مسرعًا، وعندما خرج من باب العمارة أخرج هاتفه ليتصل برقم النجدة.

مروان: آلو، بوليس النجدة، من فضلك عاوز ابلَّغ عن عربية مسروقة. أيوه، هي عربية فضي رقمها أ ب ت ث ١٠٢٠٣٠ والعربية دلوقتي راكنة في شارع السودان واللي سرقتها قاعدة جواها واسمها روناء عطية طنابيش. آه، طنابيش جمع طنبوش. وحضرتك هتلاقيها شكلها غريب والـ body language بتاعتها أغرب منها. إيه؟ أنا مين؟ أنا اسمي سنجاب. أيوه، سنجاب محمد سنجاب. شكرًا.

ولم يلحظ مروان أن سنجاب قد اقترب منه ليقطع عليه ذلك الخيط من الأحلام الزائفة. وفجأةً هوى سنجاب بعصاه الحديدية على مؤخِّرة رأس مروان الذي سقط على أثر الضربة الموجعة مغشيًّا عليه. تناول سنجاب الحقيبة من يد مروان ولاذ بالفرار حتى يلحق بحبيبته روناء، وعندما وصل إليها في السيارة كانت قوات الشرطة تحاصرهما، وقام أفراد الشرطة بالقبض عليهما في الحال.

سنجاب: إنتي بلَّغتي عني يا بت؟ (ناظرًا بدهشةٍ إلى روناء التي كانت منهمكةً في البكاء).

روناء: بلَّغت عنك إيه يا حمار انت؟! ما انا مقبوض عليا معاك اهو.

وكان مروان محاطًا بالمسعفين الذين حاولوا تضميد جراحه قبل نقله إلى المستشفى، ولما أفاق وجد بقعًا من الدماء تلطِّخ قميصه وحشدًا من المارة ينظرون إليه في شفقة. وقف على قدميه بصعوبةٍ بالغةٍ وهو يقاوم رجال الإسعاف الذين حاولوا السيطرة عليه وعلى حركته المفاجئة.

مروان: أنا فين؟ إنتو مين؟ أنا مين؟

وعندما لم يجد في أعين الناس إجاباتٍ قام يجري وهو لا يعرف وجهته.

أحدهم: لا حول ولا قوة إلا بالله.

رجل الإسعاف: الراجل شكله فقد الذاكرة.

وكان من بين الحشد الواقف عطية واعتدال يتابعان الأحداث من بعيد.

إعتدال: يا عيني، الظابط اتجنن.

عطية: مش قلت لك ان العصابة مش هيسيبوه في حاله.

إعتدال: فلوسك حلال يا عطية.

عطية: طب يالا بينا على البيت؛ عشان عاوزك في موضوع مهم، واهي فرصة احنا لوحدينا.

إعتدال: طب والبت؟

عطية: كلها يوم والا اتنين والعصابة يزهقوا منها ويبعتوها لنا على البيت ديلفري.

أشرف بربور البرتغالي

جلس شابان يلعبان الكوتشينة داخل مخزنٍ مهجورٍ لا يوجد به إلا قطعٌ من الأثاث المتهالك ومجموعةٌ متفرّقةٌ من الأجهزة الكهربائية وإطارات سياراتٍ وخزائن معدنيةٌ وأحذيةٌ رياضية. وكان الشابان متقاربين من حيث السحنة العكرة والملابس المتسخة؛ حيث إنهما كانا يرتديان زيًّا موحَّدًا يشبه ذلك الزي التقليديّ لدى اللصوص والمعروف بخطوطه المتوازية من الأبيض والأسود. كان الأول يُدعى مجاويش وهو الأكبر سنًّا والأكثر ترهلًا مقارنةً بزميله الآخَر الذي يُدعى خورشيد. وقد انهمكا في اللعب بأوراق الكوتشينة.

مجاويش (ملقيًا الزهر من يده ثم آخذًا نفَسًا عميقًا من سيجارته التي كادت أن تحرق إصبعيه): كاريه دام، كش ملك يا حلو.

خورشيد: معايا تسعة كومي (ولم يكترث بما قاله زميله من هراء).

مجاويش: كومي إيه بس ياض يا خورشيد؟ اسمها سمبوكسة والا انت باين عليك مش لعّيب؟ عمومًا انا معايا السنيورة ام قلوب.

خورشيد: تكسب يا مجاويش، برضك لبِّستني الشايب؟

مجاويش: لا وانت الصادق، لبِّستك الآس ابو شجرة. راحت العشرة يا نجم؛ أصل انا في القمار ما ليش حل. إيدك بقى على الخمسين بلبل.

خورشيد: إنت بتقرص ع الزهر يا مجاويش.

مجاويش: إسمها حرفنة (بترقيق الفاء).

خورشيد: ألَّا قل لي يا مجاويش، هو انت إيه اللي حدفك في سكة المعلّم أشرف؟

مجاويش: قصدك البروفيسير أشرف؟ يااه! فكَّرتني بالأيام الخوالي، كانت أحلى أيام عمري. بالك؟ البروف هو اللي عمل لي "الإنترفيوم" بذات نفسه.

خورشيد: عملهولك ازاي يعني؟

مجاويش: ياض افهم؛ "الإنترفيوم" دا اللي هو عكس الفير وير يعني.

خورشيد: يا راجل!

مجاويش: كنت ساعتها لسه عيل صغير في مجال اللصوصية، وفي يوم قريت إعلان في الجريدة الرسمية طالبين فيه حرامية تحت التمرين.

خورشيد: وبعدين؟

مجاويش: كانت أول مرة اقابل فيها البروف أشرف، وساعتها حسيت ان الدنيا دي كلها مش سايعاني وانا قاعد قدام البروف أشرف بربور البرتغالي على سن ورمح.

نظر مجاويش إلى السقف وسرح بخياله في اللمبة المثبتة في الدواية، وبدأ يتذكَّر اللقاء الأول الذي جمعه مع البروف. كان البروف أشرف يجلس على مكتبه الواقع في بقعةٍ داكنةٍ ليست بها إضاءةٌ كافيةٌ لإظهار وجهه أمام مجاويش الذي تسلَّط الضوء المباشر أمام عينيه، مما زاد من توتره العصبي.

أشرف: شايف نفسك فين كمان خمس سنين؟

مجاويش: يا باشا أنا مش شايف حاجة من النور اللي ضارب في وشي.

أشرف: آه، ضيق الأفق ولا يستطيع العمل تحت ضغط (بصوتٍ منخفضٍ وهو يكتب ما يقوله على ورقةٍ بيضاء). طيب شايف نفسك فين كمان ست سنين؟

مجاويش: ما هي اللمبة لسه نورها ضارب في وشي.

أشرف: تقدر تقول لي اشتغلت فين قبل كدا؟

مجاويش: حضرتك انا كنت صبي من صبيان المعلّم فؤاد ابو عجوة.

أشرف: المعلّم فؤاد أبو عجوة تاجر المخدرات المعروف، أشهر من نار على علم.

مجاويش: الله يفك سجنه.

أشرف: هو اتسجن؟

مجاويش: بعد ما طردني بيومين.

أشرف: وقبل المعلّم فؤاد كنت شغَّال فين؟

مجاويش: كنت ناضورجي مع الشيخ أبو عبد الله الداعشي.

أشرف: مش دا اللى اتقبض عليه في العريش؟

مجاويش: بعد ما طردني من الشغل بيومين.

أشرف: هي الحكومة سايبة الدنيا كلها ومركِّزة معاك انت بس؟

مجاويش: قضاء وقدر.

أشرف: آه، وش أمه فقر (بصوتٍ منخفضٍ أثناء تدوينه ما يقول على نفس الورقة).

مجاويش: هتطردني؟ صح؟

أشرف: لا يا حبيبي، أطردك إيه بس؟ ما عاش اللي يطردك.

مجاويش: لأ، شكلك هتطردني.

أشرف: مش ممكن طبعًا؛ هو العمر بعزقة؟! إنت اتعينت معايا خلاص من بكرة، من دلوقتي اذا حبيت.

مجاويش: لأ، خلّيها بكرة أحسن؛ أصل النهارده "الفلانتايم"؛ يعني أجازة رسمي.

أشرف: طب نمضي العقد بقى عشان الضرايب والتأمينات.

مجاويش: والميديكال؟

أشرف: طبعًا، طبعًا.

مجاويش: مبروك عليك أنا.

عاد مجاويش إلى الواقع مرةً أخرى بعدما قطع شروده صوت خورشيد المبحوح.

خورشيد: إنت على كدا شغَّال مع البروف أشرف بقى لك ياما؟

مجاويش: أكتر من خمسة وعشريين يوم.

خورشيد: زمن برضك.

مجاويش: آه والله، أيام.

خورشيد: آه.

مجاويش: أيام وسخة كلها.

خورشيد: ليه بس كدا؟

مجاويش: بالك البروف أشرف دا راجل معفِّن وما بيفهمش حاجة خالص.

دخل البروف أشرف من خلف مجاويش، ولاحظ خورشيد قدومه. وكان البروف أشرف رجلًا في الأربعين من عمره، وتبدو على ملامحه علامات الهدوء والشدة، وكان يرتدي بيجامة قطنية (أو ما يُسَمَّى بالـ"ترنج"). حاول خورشيد أن يغمز بعينه لمجاويش حتى ينبِّهه بقدوم البروف، ولكن مجاويش لم يفهم إشاراته. وظلَّ أشرف واقفًا في مكانه لا يحرِّك ساكنًا حتى يسمع حديث مجاويش عنه.

مجاويش: مال عينك يا خورشيد؟ تحب أجيب لك لبخة من عند العطار؟

خورشيد: والله ما فيه لبخة غيرك؛ إنت مش لاقط الحوار والا إيه؟

مجاويش: أنا اللي هارسِّيك ع الحوار؛ إكمنَّك يعني لسه جديد في كار الجريمة والعقاب. شوف انت أول حاجة لازم تعمل لنفسك سخصية مع الواد البروف دا. أيوه، زيي كدا بالظبط.

خورشيد: طب ما تعرَّضهاش قوي كدا يا اسطى.

مجاويش: طب لمعلومك بقى أنا ديك النهار قلتها له في وشه: إنت ياض ياللي اسمك أشرف يا ابن بربور البرتغالي إياك تفتح بقك معايا بنص كلمة. فاهم والا لأ؟ أنا هنا الكل في الكل. رصيتهم له في وشه ولا همني حاجة.

خورشيد: بس هو طيب.

مجاويش: طيب إيه يا طيب؟ دا راجل حمار.

رفع أشرف يده إلى الأعلى وصفع مجاويش على قفاه صفعةً أحدثَت دويًّا في أرجاء الغرفة. انتفض مجاويش من هول الخضة ونظر إلى خورشيد ليسأله عما حدث بلغة الإشارة، فلم ينطق خورشيد ببنت شفة، وإنما أشار تجاه البروف أشرف. وأخيرًا التفَّ مجاويش لينظر من خلفه، فوجد البروف أشرف بشحمه ولحمه.

أشرف: أنا حمار يا حيوان يا ابن الحيوان؟

مجاويش: مش انا اللي قلت كدا يا بروف؛ دا الواد خورشيد هو اللي قال، وشرفك هو.

أشرف: خصم تلات ايام ولفت نظر لكل واحد فيكو.

خورشيد (متأفِّفًا): وانا ذنبي إيه بس؟

أشرف: علشان تبقى تحرَّم تغمز له بعينك اللي تندب فيها رصاصة، وبعدين أنا ماشي بمبدأ المساواة في الظلم عدس.

خورشيد (بصوتٍ منخفض): طب والله لاشتكيك في مكتب العمل.

أشرف: خلاص، مش هنقعد نرغي كتير.

مجاويش: لأ، أنا مخاصمك.

أشرف: أنا عاوز اتكلّم معاكو في موضوع في غاية الخطورة وفي غاية الأهمية.

خورشيد: خير يا بروف؟

أشرف: إحنا هنسرق جنينة الحيوانات.

مجاويش: فكرة مفتكسة يا بروف، مفيش بعد كدا. إحنا نخطف الأسد ونطلب فدية.

خورشيد: الأسد هياكلنا يا غبي، إحنا نخطف سيد قشطة.

مجاويش: بس دا هيزفَّر لنا المكان؛ أصله بياكل سمك ني.

خورشيد: ودي فيها إيه؟ طب لعلمك بقى، أنا مرة كلت "شوسي" في سوق الجمعة.

أشرف: بس يا متخلف انت وهو، مش عاوز كتر كلام. إحنا هنسرق شباك التذاكر.

مجاويش: يعني احنا هنكلّف نفسنا ونخبط المشوار دا عشان خاطر حتة شباك؟! طب ما احنا عندنا شباك "ألومنتال" شغَّال زي الفل.

خورشيد: إنت عبيط والا إيه؟ شباك التذاكر دا يُعتبر آثار فرعونية من أيام الملك فؤاد المهندس.

أشرف: اسمع يالا انت وهو، مش طالبة غباوة ع المِسا. إحنا هنسرق الخزنة اللى بيحطوا فيها إيراد شباك التذاكر.

مجاويش: طب ما نقطع تذكرة ونخش من سكات. لازمتها إيه الخوتة دي عشان خاطر جوز جنيهات عُمْي؟

أشرف: بس يا حيوان.

مجاويش: الله يسامحك.

رنَّ موبايل خورشيد، فتأفَّف أشرف بسبب الرنة المستفزة والمزعجة التي اختارها خورشيد لتليفونه؛ حيث كانت الرنة عبارةً عن صوت امرأةٍ صوتها أقرب إلى الصويت وتكرِّر عبارة "بوسطة، بوسطة يا باشا، بوسطة"...

مجاويش: فيه حرامي محترم يحط رنة زي دي؟ وبعدين مش احنا قلنا نخلّي العدة على وضع "الصَّيلمت"؟

خورشيد: طب ارد طاه؛ ممكن تكون عمتو توحيدة عاوزاني.

مجاويش: عمتك برضك؟! الله يسهِّل له يا با.

فتح خورشيد خط التليفون وبدأ الكلام وهو ينظر في ريبةٍ إلى مجاويش وأشرف.

خورشيد: آلو، مين معايا؟ يا نهار اسود!

أشرف: عمتو توحيدة جرى لها حاجة؟

خورشيد: لأ، الحمد لله؛ عمتو بخير؛ دا واحد بيتكلّم صعيدي وبيقول لي إنه كشفنا وهيبلَّغ عننا.

أشرف: افتح الاسبيكر بسرعة وأنا هاكلّمه واحاول اجاريه في الكلام لحد ما اعرف هو مين ومزقوق علينا من آني داهية.

امتثل خورشيد لأمر رئيسه حيث وضع هاتفه المحمول فوق المنضدة، وبدأ أشرف في الكلام مع الرجل الغريب بنفس لهجته الصعيدية.

أشرف: مين معايا؟

الرجل الصعيدي: معاك "ردب عبد المودود" (يقصد رجب عبد الموجود).

أشرف: وعاوز ايه يا واد عمي؟

رجب: شوف يا ابو عمو، حدانا في البلد "بنجول": "هالله هالله على الدد والدد"...

أشرف: هالله هالله عليه.

رجب: واللي ينكسف من بت عمه.

أشرف: ما يجيبش منها خيار. اخلص.

رجب: ليلة امبارح سهيت واد عمي "امدلّي" (يقصد مجلّي) وفتحت تلافونه المحمول عشان اشوف رقم البت "ساهير" الغازيَّة.

أشرف: أحب على يدَّك ما تدخَّلنيش في تفاصيل أهلك.

رجب: وبعدها لك يا ابو عمو، ما "تجاطعنيش" وانا "باتحدَّت".

أشرف: مش هافتح خشمي واصل، "جول" وخلّصني.

رجب: "ساهير" دي "بجى" عاملة زي لهطة "الجشطة"، يابووووي عليها، ملبن "بالشكاليطة" الملعلطة.

أشرف: وأنا ما لي بـ"ساهير" واللي جابوا "ساهير"؟! ما "تندعج" انت و"ساهير" بتاعتك دي.

رجب: إنت متزربن كدا ليه يا ابو عمو؟ "عاجول" لك اهو. آني مسكت ذاكرة الهاتف و"جعدت" أدوِّر على نمرة تلافون "ساهير"، أدوِّر ادوِّر، وفي الآخر...

أشرف: "لجيتها"؟

رجب: "لع"، بس "لجيت" حاجة تانية.

أشرف: "لجيت" إيه عاد؟

رجب: لقيت رسالة منِّيك في "صندوج" الرسايل اللى في تلافون "امدلِّي".

أشرف: آني لا اعرف "امجلِّي" ولا عمري شفته جبل "اكدِه".

رجب: طب ماني عارف وعارف كمان انك بعت له رسالة بالغلط.

أشرف: وعرفت منين يا ابو العريف؟

رجب: ماني "جريت" الرسالة اللي كنت كاتب فيها: "احضر حالًا يا محمد. آني وابوك "لجينا" "مجبرة" فرعونية مليانة مساخيط و"دعارين" وكنوز يا ما من بتاعة الفراعين".

أشرف: يا وجعة مربربة! إنت عرفت السر؟ إوعاك تبلغ الحَكومة.

رجب: مش هابلغ الحَكومة بشرط واحد.

أشرف: شرط ايه؟ عاوز تمن سكوتك اياك؟

رجب: "لع"، بس حتت الآثارات تلزمني.

أشرف: ماشي، تدفع كام؟

رجب: بالساهل اكدِه أدفع؟ ليه؟ إياك مفكِّر نفسك "ساهير"؟

أشرف: طب عاوز ايه عاد؟

رجب: "لازمن" اعاين البضاعة "جبل" ما ادفع مليم أُحمُر.

أشرف: "حجك" يا واد عمي.

رجب: ألَّا هي فين "المجبرة"؟ "جُل" لي هي فين وانا آجي توَّك.

أشرف: بلاش "المجبرة" دِلوَك.

رجب: ليه؟

أشرف: احتياطات إمن، بس ممكن "نتجابلوا" وافرَّجك على الآثارات اللي طلعناها من "المجبرة".

رجب: طب "هنتجابلوا" فين؟

أشرف: "نتجابلوا" بكرة في "فندج" السعادة الأبدية اللى في ميدان العتبة، عارفه؟

رجب: "لع"، بس عارف العتبة، مش دي اللي فيها المطافي يا أبو عمو؟

أشرف: أول ما تتدلَّى عند المطافي هتسأل على "فندج" "السعادة الأبدية"، ألف مين يدلَّك عليه.

رجب: ماشي.

أشرف: "هتلاجي" هناك أوضة محجوزة باسمك.

رجب: في المطافي؟

أشرف: "لع"، في "الفندج" يا خفيف. وتنَّك جوه الأوضة ما "تِتنِجِلش" منِّيها غير لما آجي ومعايا البُضاعة.

رجب: "هتلاجيني" مستنيك من "النِّدمة".

أشرف: بس "تاجي" لوحدك؛ أصل الحاجات دي بتتنظر.

رجب: إيوه، ماني فاهم؛ حاكم آني مفتَّح وناصح وافهمها وهي طايرة.

أشرف: تاني هام "لازمن" تجيب معاك "فلوسات" علشان نربط الكلام ونراضي الرجالة.

رجب: "الفلوسات داهزة"، خير ربنا كَتير.

أشرف: ربنا يزيدك من نعيمه ويبعد عنك ولاد الحرام.

رجب: منا ومنكم يا ابو عمو.

أشرف: تمام، كدا اتطمنت. إنت "جلت" لي اسمك إيه؟

رجب: مانا "جلت" لك "جبل اكدِه" "ردب عبد المودود".

أشرف: خلاص هو اني مخي دفتر؟ إوعاك تتأخَّر بكرة يا "ردب".

رجب: "جلت" لك مش هاتأخر. ألَّا هو اسم الكريم إيه؟

أشرف: اسمي... اسمي... آه، اسمي... حنفي... حنفي أبو صميدة.

رجب: عاشت الأسامي يا حفني يا أبو صميدة. سلامو عليكو (وأغلق الخط).

أشرف: وعليكم السلام ورحمة الله، نوَّرت بيتك يا رجب يا ابن عبد الموجود (وقد عاد إلى لهجته القاهرية).

مجاويش (بدت عليه الحيرة): مين الجدع دا يا بروف؟ هو انت تعرفه منين؟

خورشيد: ورحمة عمتو توحيدة أنا مش فاهم حاجة.

أشرف: وانت من إمتى بتفهم يا غبي انت وهو؟!

خورشيد: طب ما تفهِّمنا يا بروف البراريف.

أشرف: مش مهم تفهموا؛ المهم تنفذوا اللي هاقوله بالحرف.

مجاويش (من تحت ضرسه): أوامرك يا كبير.

أشرف: كل المطلوب منكو إنكو هتِنزِلوا خان الخليلي وتشتروا من هناك شوية تماثيل فرعوني على شوية ورق بردي.

خورشيد: ليه يا بروف؟ إنت شايفنا خواجات من الاتحاد "السوكيتِّي"؟

أشرف: مش عاوز رغي. للأسف ما اقدرش اعتمد عليكو في أكتر من كدا.

مجاويش: ليه؟ هاه؟ ليه؟

أشرف: لما تكبر هابقى اقول لك.

ومرَّت الدقائق والسويعات الذائبة في وقتها بشكلٍ سريع. كان رجب يجول داخل الغرفة التي وجدها محجوزةً باسمه بفندق "السعادة الأبدية"، وكان في غاية التوتر والاضطراب؛ حيث كان ينظر في ساعته المطلية بلون الذهب كل بضع ثوانٍ في انتظار ضيوفه الغرباء. أما الغرفة فقد كانت في غاية التواضع، بل يمكن القول إنها حقيرةٌ من حيث مستوى الفرش إلى جانب تصدُّع جدرانها الملطَّخة بلون الهباب. جلس رجب على طرف السرير ذي المرتبة المعفِّنة، ثم أخذ يحدِّث نفسه بصوته الجهوري.

رجب: والله والبلية هتلعب معاك ياض يا "ردب"، وبكرة عالعب بالفلوس لعب، بس أول هام عاشتري الآثارات من أخينا اللي اسمه عتريس بالتمن اللي اني عاوزه، ولو تربس دماغه أهدِّده إني هاسلمه للحَكومة، وبعد اكدِه "بجى" أروح ابيعها بملايين الملايين، إشي "دورار" على استرليني على دينار سعودي، دا اني ممكن كمان ابيع الآثارات للعمدة بذات نفسه، وساعتها أفضى لك "بجى" يا "ساهير"، بس "اديب" نمرة "تلافونك" يا بنت "الدزمة".

وأخيرًا سمع رجب طرقتين على باب غرفته.

رجب: مين ع الباب؟

أشرف: أنا حفني أبو صميدة.

فتح رجب الباب على الفور، ثم بدأ يتفقَّد الطرقة يمينًا ويسارًا.

رجب (بعدما أغلق باب الغرفة): إوعاك يكون فيه حد "جاطرك" اكدِه والا اكدِه.

أشرف: اتطمن؛ الدار أمان يا رجب، "جصدي" "اجول" يا "ردب".

رجب: البُضاعة معاك؟

أشرف: في الشنطة، وفين الفلوسات؟

رجب: لما اعاين البُضاعة الاول.

أشرف: شكلك واعر "جوي" "جوي".

أخرج أشرف القطع الأثرية المزيَّفة من التماثيل والبرديات التي اشتراها مجاويش وخورشيد من خان الخليلي. وبدأ رجب في تفحص تلك القطع المزيَّفة الواحدة تلو الأخرى بشغفٍ شديد.

رجب: بكام الشروة ديَّت يا ابو عمو؟

أشرف: ملّي عينك الاول من آثارات الفراعين ومش هنختلف على السعر. إنت عاوز تدفع فيهم "جد" كام؟

رجب: إنت فاكرني غشيم اياك؟ إحنا "نديب" خبير في الآثارات وهو اللى "يجول" الآثارات ديَّت تسوى كام.

أشرف: طب والخبير هنجيبه منين بس دِلوَك؟

رجب: ما خَبِرش، بس "لازمن" و"حتمن" ولا بد الخبير "ياجي" و"يجول" المساخيط دي أصلية والا فالصو.

أشرف: نجيب الخبير منين؟ منين؟ بس، "لجيتها"؛ آني هاكلّم المُتحَف وهما يبعتوا لنا خبير بمعرفتهم، ولا ييجى تبعي ولا تبعك، لا من ديني ولا من دينك.

رجب: كلام زين ما "اجدرش" "اجول" "حادة" عنه.

أمسك أشرف هاتفه المحمول وتظاهر بأنه يتحدَّث لشخصٍ آخَر.

أشرف: آلو، مُتحَف أبو سمبل الدولي؟ مين معايا يا حبيبنا؟ إنت من "الكون سمتر"؟ طب حيث كدا احنا عاوزين خبير آثارات ياجي دِلوَك. "بتجول" ايه؟ طب خليك معايا كدا (ووضع هاتفه جانبًا ثم توجَّه بالحديث إلى رجب). "بيجول"

ان الخبير اللي "هياجي" هياخد مية وخمسين جنيه رسوم زيارة غير الشاي بتاعه.

رجب: يعني متين "اجنيه"؟ ماشي، بس اعمل حسابك اني مية وانت مية.

أشرف (متحدِّثًا في هاتفه مرةً أخرى): خلاص ماشي، بس خليه "ياجي" بسرعة وحياة ابوك.

رجب: ما اديتوش العنوان ليه؟

أشرف: "التلافون" حداهم بيحدِّد "اللوكيشم" بذات نفسه.

رجب: آه، زي "سوَّاجين" الأوابر يعني؟

أشرف: صُح، ما انت فاهم كل حاجة اهو، أمَّال ليه "بيجولوا" عليك انك... هيهي... عدم اللامؤاخذة... دغُف؟

رجب: هما مين دولي؟

أشرف: شوف انت "بجى".

رجب: هما "جالوا" لك الخبير هيعوَّج والا هييجي "ميتى"؟

أشرف: زمانه جاي واني هاستأجز منك ساعة زمن اروح اصلِّي ركعتين العشا في سيدنا الحسين (وتهيَّأ للرحيل).

رجب: والآثارات؟

أشرف: خلِّيها حداك؛ الدار أمان يا واد عمي، بس أمانة عليك يا شيخ تحافظ عليهم زي عينيك؛ حاكم دي حاجات تسوى ملايين.

رجب: بس ما "تعوَّجش"؛ "لازمن" "تبجى" "مودود" مع الخبير.

أشرف: ما ينفعشي.

رجب: "عتجول" إيه؟

أشرف: قصدي يعني... ما ينفعش اكون موجود لا "تجول" ان الخبير تبعي والا حاجة.

رجب: بس ما "تعوَّجش"؛ علشان ادِّيك الفلوس اللى مخبيها في مكان سري تحت السرير ديكها.

أشرف: أول ما الخبير يمشي "هتلاجيني" جيت لك "جوام" (وسار بضع خطواتٍ في رواق الفندق القديم).

رجب (مناديًا أشرف): استنَّى عندك يا حنفي يا أبو صميدة.

أشرف (ملتفتًا إليه): فيه إيه تاني عاد؟

رجب: لافيني الميت اجنيه بتوع الخبير.

أشرف: "حجك" يا ابو عمو.

رجب (وقد أغلق الباب وبدأ في الغناء بصوته النشاز):

- يا بت "بيجول" لك ابوكي ما تطلعيش ع "السجَّالة". آه، يا "ساهير" يا "ساهير". كل العيون لما شافوكي... بَعَتُم وراكي الغسَّالة... آه يا "ساهير" يا "ساهير".

سمع رجب صوت نقرٍ منتظمٍ على باب غرفته.

رجب: "معجول" يكون الخبير "لحج" "ياجي"؟ والا تكونشي لهطة "الجشطة" البت "ساهير"؟ مين ع الباب؟ (وفتح الباب بحذر) مين انت؟ وعاوز ايه يا جدع انت؟

كان الطارق على باب الغرفة هو أشرف، ولكنه كان متنكرًا في صورة رجلٍ أجنبي؛ حيث ارتدى شورت كاكي وقميصًا عليه صورة محمد صلاح ومكتوبٌ أسفل الصورة عبارة الفرعون المصري، وارتدى أيضًا باروكة صفراء تظهر من تحت البرنيطة العريضة، كما ألصق شاربًا أصفر اللون أعلى فمه. وكان يدخِّن من الغليون (أو البايب) وبدأ يتحدَّث بلهجةٍ عربيةٍ مكسَّرة.

أشرف: "صباخ" الخير سينيوري، أنا الخواجة ديجو كوستا الخبير الأجنبي بتاع آثار.

رجب: اتفضل يا خواجة، إزيك؟ سلامات.

أشرف: "أخلين" بيك "خبيبي" (ودخل الغرفة) "أخلين وسخلين"، ممكن "أسوف" الآثار اللي معاك؟ "عسان" "موس" عندي "وكت" خالص، ولسه "هاروخ" على الدويقة "علسان" أعاين "مكبرة" الخديوى سكنن رع.

رجب: لأ يا "خوادة"، "لازمن" تاخذ راحتك ع الآخر وعاوزك تملّى عينك من الآثارات وتتأكد مرة واتنين وتلاتة انها أصلية.

أشرف: "خاريستوه" "خبيبي"، "خاريستوه". "موس" "تِكلَك" خالص "خبيبي"، خلّيك ريلاكس.

رجب: إنت "بتجول" إيه يا جدع انت؟

أشرف: خلاص، خلاص، ورِّيني "الهاجة" اللي "أندك" وأنا أقول لك أصلي والا فِستك.

رجب: الشنطة دي، شايف الشنطة دي؟ مليانة آثارات، شوف اكدِه.

أشرف: أمان يا ربي أمان، "موس مومكن"، "موس" معقول أبدًا! (وفتح الشنطة وأخرج منها مجموعةً من التماثيل، وأخذ يتفحصهم بعنايةٍ مصطنعةٍ مستخدمًا قلم ليزر وعدسةً مكبِّرة).

رجب: خير يا داكتور؟

أشرف: دا تمثال الملك بتاع حُتُب.

رجب: بتاع مين؟

أشرف: "موس" بتاع حد، بتاع حُتُب دي فرعون كان في الأسرة ٤١ جنايات.

رجب: أمَّال إيه "الورجة" الملزوجة ع التمثال دهِيَّت؟

أشرف: دي الباركود.

رجب: كيف يعني؟

أشرف: دي معناها ان التمثال أصلي، ولو "موس" موجودة السعر يقل نص تمنه.

رجب: طب دا فيه "ورجة" تانية غير الأولانية، مكتوب عليها إيه؟

أشرف: آه دي مكتوب عليها made in China.

رجب: يعني إيه؟

أشرف: دي كتابة "هيلوغريفي" ومعناها "العين صابتني ورب العرش نجَّاني".

رجب: يعني يساوي كام بتاع الحُتُب دِه؟

أشرف: "هوالي" مليون دولار، دا غير البرديات، تحفة لا "تُكَدَّر" بتمن.

رجب: وإيه اللي مكتوب عليها السُّخامة دي كمان؟

أشرف: البردية دي فيها سر "التهنيط" وسر بناء الأهرامات (وكانت البردية مكتوبٌ عليها عبارةٌ بالإنجليزية وهي: I love Egypt).

رجب: أمَّال "الجزازة" ديَّت فيها إيه؟ (وأشار إلى زجاجة بلاستيك مكتوبٌ عليها صبغة يود).

أشرف: دي زيبق "أهمر"، الجرام "الواهد" منه بـ١٥٠ ألف دولار.

رجب: يعني الشروة على بعضها "تجفل" كام؟

أشرف: "موس" أقل من "عسرة" مليون دولار، أقل واجب.

رجب: يا وجعة مربربة!

أشرف: ما لك "خبيبي"؟

رجب: آني هارسِّيك ع الفولة يا "خوادة"؛ أصل الآثارات دول يخصُّوا واحد بلدياتي اسمه حنفي أبو صميدة، وكلام في سرك كنت متكلم معاه إني "عاشتريهم"، بس المبلغ اللى "عتجول" عليه ده كتير جوي. يا لهو بالي يا اما!

أشرف: إنتي كنتي عاملة "هسابك" تدفعي كام؟

رجب: كل اللي معايا مية وخمسين ألف جنيه بعد امَّا بعت "الجيراتين" والبهيمة اللي حيلتي.

أشرف: "خبيبي" أنا ممكن اجيب لك "واخد" زبون "خالًا" "يستريهم" منك بفايف مليون دولار؛ يعني "هوالي" خمسة مليون دولار، بس فيه "واخد" "سرط".

رجب: شرط؟ شرط إيه؟

أشرف: الراجل دي اللي إسمه "هنفي" باين عليه "موس" عارف قيمة الآثار ولا دياولو، إنت تدِّي له كل الفلوس اللي معاك وتغوَّره في ستين داهية "أهسن" ما ياخد هو الخمسة مليون دولار وانتي تطلعي من المولد بلا "هُمُّس"؛ "علسان" "المستري" بتاع الأنا عامل زي الفريك ما "يهبِّس" "سريك".

رجب: "جصدك" ندِّي له صابونة؟

أشرف: أيوه تمام، هي الصابونة دي، صابونة لوكس.

رجب: بس انت مالي يدَّك من "الددع" اللى هيدفع تمن الآثارات؟

أشرف: عيب عليك "خبيبي"؛ دي "سغلتي". إدِّيني "واخد" ساعة وأنا هاجيب لك "واخد" زبون سُقع، بس زي ما فهِّمتك؛ أول ما ييجي "هنفي" دا تدِّي له كل الفلوس اللي معاك و"تزهلقه".

رجب: بس إوعاك تتأخر عليا عشان ما "اجلجشي".

أشرف: خلاص بقى سبني "أسوف" "سُغلي" وأجيب لك "واخد" زبون سُقع. سلامو عليكو.

رجب: وعليكم السلام.

وقف مجاويش وخورشيد في الغرفة الملاصقة لغرفة رجب يراقبان مجريات الأحداث من بعيد. ودخل أشرف الحمام المشترَك الخاص بالفندق المعفِّن؛ كي يزيل مستحضرات التجميل التي استخدمها في التنكر في شخصية الخواجة، واستخدم مستحضراتٍ أخرى كي يعود للتنكر في شخصية حنفي. وارتدى أشرف ملابس شخصية الصعيدي، ثم نظر في المرآة المكسورة ليتأكد من إتقانه للدور المطلوب. وأخيرًا خرج من الحمام كي يستنشق هواءً نظيفًا، ثم اتجه إلى غرفة رجب وطرق على بابها طرقتين.

رجب: مين؟

أشرف: أنا حنفي، افتح يا "ردب".

رجب (فاتحًا الباب على الفور): إنت فين يا ابو عمو؟ دا الخبير لسه ماشي توَّك.

أشرف (وقد أغلق الباب من خلفه): و"جال" لك ايه؟

رجب: "جال" لي "الحادة" أصلية.

أشرف: و"جُلت" له إيه؟

رجب: "جُلت" له: طب الشروة دي توبها كام؟

أشرف: هيه؟ و"جال" لك ايه؟

رجب: "جال" لي ان الآثارات ديًّا ما تسواش أكتر من مية وخمسين ألف "دنيه".

أشرف: الخبير "جال" لك اكدِه؟ يا ابن الكدابة (بصوتٍ منخفض).

رجب: آه، إنت مش "مصدجني" والا ايه؟

أشرف: بس دول ما يجوشي حج الشاي للرجالة اللي فتحوا "المجبرة".

رجب: امسك يا ابو عمو مية وخمسين ألف جنيه ويعوَّض عليك ربنا.

أشرف: ربنا يعوَّض عليا وعليك.

وفجأةً وبدون أي مقدمات، اقتحم مجاويش وخورشيد الغرفة وهما يرتديان زي رجال الشرطة ويحملان مسدسين بلاستيكيين.

مجاويش: سلِّم نفسك انت وهو، ما فيش داعي للمقاومة، المكان كله محاصر.

رجب: خير يا باشا؟

خورشيد: أنا العقيد رشدي رشدان من مباحث الأموال العامة.

مجاويش: وانا الفقيد خيري خريان من مباحث الأموال الخاصة.

أشرف (بصوتٍ منخفض): بتعملوا إيه هنا يا ولاد الكلب؟

خورشيد: إحنا قبضنا عليكو متلبسين وانتو بتتاجروا في الآثار، دي فيها تأبيدة على الأقل.

مجاويش: إزاي تتاجروا في الآثار من غير تصريح هيئة الثروة السمكية؟

رجب: ماني ما اعرفش يا باشا "نديب" التصريح دوَّت منين.

خورشيد: لأ، انت تسيب لنا الفلوس دي واحنا نطلَّع لك التصريح بمعرفتنا والا تحب تشرَّفنا في المديرية يا روح امك؟

رجب: لا، يا باشا خدوا الفلوس كلها واعملوا التصاريح بمعرفتكم، وعلى رأي المثل "الجديم" اللي "بيجول": "الشرطة في خدمة الشعب" (وأعطي النقود لخورشيد).

أشرف: ياخدوا إيه يا حمار؟ إنت إيه اللي بتهببه دا؟

رجـــب: اسكت انت؛ أصلك مش فاهم "حادة"؛ الخبير الأجنبي جاي في السكة وهيديب مشتري للآثارات و"هابجى" اشوفك يا ابو عمو.

أشرف: بلا خبير بلا زفت، أنا هاروح الحق جوز البهايم دول قبل ما يهربوا بالفلوس.

رجب: طب والآثارات؟

أشرف: خليهم لك اشبع بيهم (وترك رجب وحيدًا).

رجـــب: دا اني هاشبع بيهم واتمرمغ في العز مع البت "ساهير". آه يا "ساهير" يا بسبوسة بالملبن يا "ساهير".

الدكتورة

نهاد فوزي بلطيم

نزل الخبر كالصاعقة على محمود المبلول عندما علم أن صديق عمره سامح عبد ربه قد تعرَّض لحادثةٍ مروِّعةٍ أثناء قيادته لسيارته على الطريق الدائري. تعرَّض سامح لبعض الكدمات والكسور، ولذلك تمَّ نقله على الفور إلى مستشفى "البقاء لله التخصصي" لصاحبته الدكتورة نهاد فوزي بلطيم. أما محمود فهو يعمل محاسبًا في إحدى شركات المقاولات الكبرى، وهو في أوائل العقد الثالث من عمره، ولم يتزوج بعد بسبب عدم قدرته على تحمل مصاريف الزواج وتكوين أسرة. دخل محمود من باب المستشفى ولكنه وجد فرد الأمن داخل المستشفى واقفًا ليسدَّ عليه طريق الدخول.

فرد الأمن: رايح فين يا أستاذ؟ هي وكالة من غير بواب؟

محمود: مش دي مستشفى "البقاء لله التخصصي"؟

فرد الأمن: اؤمر يا حبيب اخوك.

محمود: أوضة ٢٠٤.

فرد الأمن: "عَشَّة" جنيه رسم دخول للفرد، ويا ريت فكة.

محمود: أنا رايح زيارة مريض.

فرد الأمن: ربنا يشفي كل مريض، "عَشَّة" جنيه رسم دخول.

محمود: ليه؟

فرد الأمن: هو دا نظام المستشفى، هتدفع والا تورِّيني عرض كتافك؟

محمود: حاضر يا سيدي، آدي العشرة جنيه، ممكن تسيبني ادخل بقى؟

فرد الأمن: امسك يا أستاذ التذكرة بتاعتك، بس اعمل حسابك وانت خارج لو كسرت ساعة هتدفع "عَشَّة" جنيه تانية.

محمود: إزاي يعني؟ هو انا داخل اركن في جراج العتبة؟

فرد الأمن: باشا احنا نظامنا كدا ولو مش عاجبك ابقى روح زوره في مستشفى تانية.

محمود: أنا لو اعرف النظام بتاعكو دا ما كنتش جيت من الأساس. وعمومًا هات التذكرة، ويبقى يحلها ألف حلال وانا خارج.

فرد الأمن: معلش يا بيه، آخر حاجة عشان يبقى خلَّصت ضميري منك، هو إيه اللي ف إيدك دا؟

محمود: دا ورد.

فرد الأمن: ورد إيه يا بيه؟ هو انت رايح القرافة لا مؤاخذة؟ وبعدين إيه الورد المعفِّن دا؟ ما كنت تستنضف شوية.

محمود: ما لكش دعوة بالورد وخلّيك في حالك. وبعدين انا حر أجيب له ورد، أجيب له فجل، يخصك في إيه؟

فرد الأمن: أنا قصدي مصلحتك بدل ما أهل المريض ياكلوا وشك ويبقى شكلك زي الأندر قدامهم، ويقعدوا بقى يقولوا عليك كلام وحش من ورا ضهرك. صدَّقني أنا خايف على سمعتك.

محمود: وانت مالك؟

فرد الأمن: نصيحة من اخوك: جيب له علبة شوكلاتة بالبندق من محل الحلويات اللى هنا في المستشفى.

محمود: طب قل لي أعمل فيك إيه دلوقتي. امسك الورد دا ارميه في الزبالة، أنا هاخش له وإيدي فاضية. عندك مانع؟

فرد الأمن: خلاص يا بيه بشوقك، (وبصوتٍ خفيض) خليهم يقولوا عليك نتن.

محمود: إنت قلت إيه؟

فرد الأمن: أنا باسألك طالع أوضة رقم كام؟

محمود: ٢٠٤.

فرد الأمن: الدور التاني على اليمين.

محمود: ماشي، شكرًا (واتجه ناحية الأسانسير كي يصعد إلى غرفة صديقه).

فرد الأمن: بس كدا يبقى فيه خمسة جنيه كمان لزوم استخدام أسانسير.

محمود: هاطلع على رجلي.

فرد الأمن: السلم عطلان.

محمود: إنت هتهزر معايا؟

فرد الأمن (بصوتٍ منخفض): غور كتك نيلة في سحنتك.

محمود: إنت قلت إيه؟

فرد الأمن: باقول: ربنا يدِّيك على قد نيتك.

مشى محمود بضع خطواتٍ ولم يُرِد أن يفتعل مشكلةً مع رجل الأمن حتى لا يفقد أعصابه ويتشاجر معه. نادت عليه فتاةٌ اسمها

شادن، وكانت ترتدي زيًّا رسميًّا باللون الكحلي ورسمَت على وجهها ابتسامةً مصطنعةً بلا داعٍ.

شادن: صباح الخير يا فندم.

محمود: صباح الخير، خير؟

شادن: مع حضرتك شادن مسئولة علاقات عامة هنا في المستشفى، ممكن آخد من وقت حضرتك خمس دقايق بس؟

محمود: لا معلش؛ أصلي مستعجل.

شادن: صدَّقني يا فندم مش هآخَّرك أكتر من تلت ساعة بس.

محمود: بصي هو اليوم باين من أوله، اتفضلي قولي وخلَّصيني.

شادن: طب هانتكلم واحنا واقفين كدا؟ اتفضل حضرتك اترزع على الكرسي يا فندم والا عاوز المرضى يقولوا انك بتعاكسني؟

محمود: من فضلك اختصري (وجلس على الكرسيّ المقابل لمكتب شادن).

شادن: حضرتك تشرب إيه الأول؟

محمود: لأ شكرًا، مش عاوز حاجة.

شادن: أخلّيهم يرصوا لك حجر معسِّل في السريع؟

محمود: حجر معسِّل؟! هنا في المستشفى؟!

شادن: أمَّال هالفهولك تيك أواي وابعتهولك على البيت؟!

محمود: بصي أنا مش عاوز حاجة، أنا عاوز امشي.

شادن: هو حضرتك ليه كدا؟ خليك ريلاكس يا فندم.

محمود: يا ستي ما لكيش دعوة بحضرتي وقولي عاوزة مني إيه.

شادن: حضرتك "أتنشن" ليه يا فندم؟ دا حتى مش كويس علشان بشرتك.

محمود: يووووه.

شادن: هما كام سؤال ومش هتحس بيهم، زي اللبوسة بالظبط.

محمود: يا آنسة اتفضلي اسألي وخلَّصيني.

شادن: الإسم؟ (وأمسكَت بقلمٍ جافٍّ وورقةٍ مطبوعٌ عليها شعار المستشفى)

محمود: إسمي محمود.

شادن: بالكامل، والا لسه ما حفظناهوش؟

محمود: محمود رائف المبلول.

شادن: ممكن اعرف إيه نوع البلل؟

محمود: نعم؟

شادن: على فكرة عندنا أوفر هايل على الحفاضات، وما بتسببش تسلخات مع البلل.

محمود: لأ، دا إسمي حضرتك.

شادن: آه، آسفة جدًّا يا فندم. عمومًا خد راحتك خالص، دا حتى الإسم جايب لنا طراوة.

محمود: إنتي هتستظرفي يا آنسة؟

شادن: معلش يا فندم، بس القافية تحكم، والا إيه يا ابو حنفي؟

محمود: هو انتي واخدة عليا كدا بأمارة إيه؟

شادن: ورانا إيه؟ أدينا بندردش، على رأي الست أم كلثوم.

محمود: الظاهر اني قاعد باضيَّع وقتي معاكي.

شادن: ما تبقاش قفُّوش قوي كدا يا فندم.

محمود: اللهم طوِّلك يا روح.

شادن: طب يا ترى ممكن اعرف عندك كام سنة؟

محمود: ليه هتفتحي لي محضر؟

شادن: لا يا فندم العفو، أنا بس باعمل استبيان عبارة عن شوية أسئلة وفي الآخر هادِّي لحضرتك هدية قيِّمة مقدَّمة من إدارة المستشفى.

محمود: مش تقولي إن فيه هدية يا آنسة شادن؟ ويا ترى بقى الهدية عبارة عن إيه؟

شادن: كفن أبيض إكسترا ماركة أبو دلع.

محمود: مش عاوزها، خليهولك.

شادن: طب ممكن نكمِّل الاستبيان علشان يومنا يعدِّي؟

محمود: أيوه، يا ريت نِخلَص.

شادن: سن حضرتك قد إيه؟

محمود: ٣٣ سنة.

شادن: هايل، بس إوعى تكون برج العقرب.

محمود: أنا برج العقرب بقى، فيه حاجة؟

شادن: بس حضرتك شكلك مدِّي على تور.

محمود: نعم؟

شادن: قصدي برج التور.

محمود: هي الأبراج مكتوبة في الاستبيان؟

شادن: حضرتك بتشتكي من أي أمراض مزمنة؟

محمود: لأ.

شادن: إن شاء الله تبقى تشرَّفنا هنا في المستشفى لما تقع من طولك.

محمود: إنتي بتفوِّلي عليا؟

شادن: يا فندم "كل نفسٍ ذائقة الموت"، ولا إنت هتكفر بقى؟

محمود: لأ انا قايم من هنا.

شادن: طيب حضرتك فكرت تستثمر في أعضاءك؟

محمود: إيه؟ إنتي بتقولي إيه؟

شادن: لأ، واضح ان حضرتك فهمتني غلط، أنا قصدي أقول: حضرتك تحب تبيع أعضاءك؟

محمود: ما هي هي.

شادن: وصدَّقني يا حودة هادِّيك أحسن سعر في السوق.

محمود: لأ، دا انتو مجانين بقى.

شادن: إحنا ممكن نشتري من حضرتك كلية، قرنية، خصية.

محمود: لأ كله الا كدا.

شادن: فيه إيه يا فندم؟ أنا قلت حاجة غلط؟!

محمود: إنتي كلك على بعضك غلط.

شادن: احترم نفسك يا فندم، أنا بنت ناس برضك.

محمود: إنتو شكلكو كدا عصابة وبتتاجروا في الأعضاء.

شادن: يا فندم هو حضرتك مستغرب كدا ليه؟ كإني قلت لك إننا بنتاجر في "المخدَّات" مثلًا؟

محمود: لا أبدًا، وانا هاستغرب ليه؟! دي حتى الأعضاء البشرية بتتباع عادي في الأجزخانات.

شادن: على فكرة في أوروبا وأمريكا بيعتبروا الموضوع دا عمل إنساني.

محمود: أنا ما ليش دعوة بالكلام داء، إحنا هنا في مصر.

شادن: حضرتك "لوكال" قوي الصراحة.

محمود: أهو انتي اللي "لوكال" وستين "لوكال".

شادن: طب إيه رأيك بقى؟ أنا أصلًا مولودة بره مصر؛ في السنبلاوين.

محمود: طيب يا آنسة شادن، أنا مضطر استأذن علشان الحق اروح ع القسم، لأ قسم إيه؟ دا انا هاطلع على مكتب وزير الداخلية واقدِّم فيكو بلاغ انكو بتتاجروا في الأعضاء.

شادن: هو دخول الحمام زي خروجه يا ابو حنفي؟

محمود: إنتي بتهدديني والا إيه؟ لأ، انا ممكن اصوَّت والم عليكي أمة لا إله إلا الله.

شادن: الظاهر ان الذوق مش هيجيب نتيجة مع حضرتك، وشكلي هادِّي حضرتك بالجزمة.

محمود: إنتي قليلة الأدب ومش متربية، وانا بقى اللي هاربِّيكي.

جاءت على إثر ذلك الصخب امرأةٌ نحيلةٌ ترتدي تايير مشجَّرًا وفوق رأسها بونيه يكشف عن قرابة نصف شعرها الأسود. وكانت هذه المرأة هي الدكتورة نهاد فوزي بلطيم صاحبة المستشفى التي ورثَته عن أبيها الدكتور ذي السمعة المشبوهة فوزي بلعوم بلطيم.

نهاد: إيه الزعيق دا يا شادن؟ هو فيه إيه؟

محمود (مشيرًا ناحية الدكتورة نهاد): مين دي يا شادن؟

نهاد: أنا الدكتورة نهاد فوزي بلطيم صاحبة المستشفى.

محمود: قصدك رئيسة العصابة؟

نهاد: إيه الكلام الفارغ دا؟

محمود: أنا هودِّيكوا في داهية يا بتوع تجارة الأعضاء يا نَوَر.

نهاد: إيه؟ تجارة إيه؟ (وبدأَت تطلق سلسلةً من الضحكات المتقطِّعة، وأدَّت مغالاتها في الضحك إلى أن بدأَت شادن تضحك هي الأخرى).

محمود: ممكن اعرف حضرتك بتضحكي على إيه؟

نهاد: هي عملتها فيك انت كمان؟ الله يخرب بيت شيطانك يا شادن. دمها خفيف قوي، شربات.

محمود: هي دمها يلطش الصراحة، بس انا مش فاهم حاجة (وبدأ صوته ينخفض تدريجيًّا).

نهاد: أنا باعتذر لحضرتك جدًّا؛ أصل شادن غاوية تعمل مقالب كوميدية ظريفة في "الجيست".

محمود: مقالب؟!

نهاد: هي أصلها شغالة بعد الضهر في برنامج "الكاميرا الخفية" مع الأستاذ إبراهيم نصر.

محمود: الله يرحمه، ويا ترى بقى المقلب دا اتصوَّر؟

نهاد: هه؟ آه طبعًا اتصوَّر وهيتذاع في رمضان اللي بعد الجاي.

شادن: أنا آسفة يا أستاذ محمود، إوعى تكون لسه زعلان مني.

محمود: لأ، خلاص ما فيش حاجة خالص؛ دا حتى واجب علينا نشجِّع المواهب البيض.

شادن: نعم؟!

محمود: وذيعوا المقلب ماشي، بس هو هييجي على قناة إيه؟

شادن: قناة النيل الثقافية.

محمود: يالا زي بعضه، نصيبنا كدا. قال إيه وانا اللى صدَّقت الموضوع وفضلت أجاريها لما افتكرت انها هتدِّيني جايزة.

نهاد: تصدَّق بإيه؟

محمود: لا إله إلا الله.

نهاد (أمسكت بيد محمود كأنها تصافحه): طب والعَشَرة دول احنا عاملين جوايز "فانتاستيك".

محمود: طب عبارة عن إيه بقى الجايزة؟ ساعة حائط والا مكوة؟

نهاد: إنت كدا عاوز تحرق المفاجأة والا إيه يا أستاذ محمود؟

محمود: لأ، ودي تيجي برضه؟! ما يصحش نحرقها.

نهاد: اتفضل معايا في المكتب علشان اسلِّمك الجايزة بنفسي.

قامت الدكتورة نهاد بتوصيل محمود إلى مكتبها وطلبَت منه أن ينتظرها حتى تعود إليه في غضون دقائق معدودة. لبى محمود طلبها وجلس على الكرسي الفوتيه. وبمجرد دخول محمود وجلوسه منجعصًا على الكرسي خرجَت الدكتورة نهاد من المكتب بعد أن أوصدَت الباب من ورائها بالمفتاح.

نهاد (بحدة): شادن.

شادن: تحت أمرك يا دكتورة.

نهاد: أنا لو قتلتك دلوقتي ورميت جتتك للكلاب تنهش فيها يبقى عدَّاني العيب.

شادن: أنا آسفة يا دكتورة.

نهاد: آسفة إيه وزفت إيه؟! كنتي هتودِّينا في داهية كلنا بسبب غباوتك.

شادن: أقول لك الصراحة؟

نهاد: أيوه، أنا أحب الصراحة، اشجيني يا بنت الكلب.

شادن: أصل أبو نوَّاف اتصل بيا النهارده وسألني إذا كنا لقينا له كِلية ولا لسه، ولما قلت له إننا لسه بندوَّر قعد يزعق فيا.

نهاد: وطبعًا قال لك إنك لو لقيتي له الكِلية المطلوبة هيحلِّي لك بقك؟

شادن: لأ، أبدًا والله، هو قال إنه هيحلِّي لي خشمي.

نهاد: وعينك زغللت وريقك جري على الكام ملطوش اللي كنتي هتلهفيهم من ابو نوَّاف، ومن ورا ضهري يا شادن.

شادن: ما تاخديش على خاطرك مني يا دكتورة، أنا آسفة. وبعدين الحكاية كلها عشر بواكي عُمي حلاوة الكِلية الجديدة.

نهاد: حسابك معايا بعدين، المهم خلّيهم يجهِّزوا أوضة العمليات فورًا علشان الأفندي اللي قاعد جوه دا، هناخد منه كِليته بالذوق أو بالعافية.

شادن: طب عدم اللامؤاخذة يا دكتورة، لو فصيلة دمه ما طلعتش زي فصيلة دم أبو نوَّاف هنعمل إيه؟

نهاد: نبقى ندِّيها لابو رامز.

شادن: بتاع الشاورما؟ دا أنا بأموت فيه.

نهاد: دا انا اللي هاموِّتك لو ما انجريتيش من وشي دلوقتي.

شادن: حاضر يا دكتورة.

نهاد: وخلّي الواد عاطف يجي لي على مكتبي حالًا.

شادن: عاطف بشلة؟

نهاد: أيوه.

شادن: ما هو حضرتك بعتِّيه على البساتين يوصَّل طلبية تامول.

نهاد: أول ما يرجع تبعتيهولي على مكتبي، مفهوم؟

شادن: تؤمريني أمر يا قمر.

نهاد: صحيح، هو الجدع اللى اسمه سامح بتاع غرفة ٢٠٤ أخباره إيه؟

شادن: الدكتور مراد أقنعه انه كان عنده تهتك في الأمعاء بعد الحادثة وانه اضطر يستأصل الكلية اليمين علشان يوقَّف النزيف.

نهاد: ودخلت عليه الاسطوانة دي؟

شادن: عادي يعني زي ما دخلت على عشروميت واحد قبله.

نهاد: بس للأسف فصيلة دمه طلعت غير فصيلة دم أبو نوَّاف.

شادن: أيوه، ولسه مش لاقيين زبون يدِّي له كِليته.

نهاد: البضاعة بتنادي صاحبها، فاهمة يا شادن؟

شادن: بنتعلم منك يا دكتورة. وعلى رأي المثل: "يا بتاع الشباشب فين القبقاب"؟

نهاد: طيب روحي انتي دلوقتي اعملي اللي قلت لك عليه علشان نِخلَص من موضوع الكائن اللي قاعد في مكتبي دا، هو اسمه إيه؟

شادن: إسمه محمود يا دكتورة.

نهاد: طب روحي انتي يا شادن وانا هاتصرف معاه.

عادت الدكتورة نهاد إلى مكتبها مرةً أخرى لترحِّب بمحمود ترحيبًا حارًّا.

نهاد: أهلًا وسهلًا يا أستاذ محمود نوَّرت المستشفى.

محمود: بنورك يا دكتورة.

نهاد: ما قلتليش، تحب جايزتك تبقى كام؟

محمود: مش عارف.

نهاد: نقول ميت ألف جنيه؟

محمود: ميت ألف جنيه؟

نهاد: إيه؟ شوية؟ تحب نخلّيهم مية وخمسين؟

محمود: بس دا كتير قوي على برنامج مقالب.

نهاد: يا راجل مش كتير عليك، ومتهيأ لي إن مبلغ زي دا هيغيَّر لك حياتك؛ ممكن تشتري بيهم عربية أو تبدأ بيهم مشروع خاص بيك.

محمود: أنا بصراحة مش مصدَّق نفسي.

نهاد: لأ، صدَّق يا محمود، إنت ابن حلال وتستاهل كل خير، بس فيه حاجة صغيرة لازم تعرفها.

محمود: إيه؟

نهاد: الدنيا دي عبارة عن سوق، سوق كبير الكل فيه بيشتري وبيبيع. والتاجر الشاطر هو اللي يعرف ازاي يكسب لما يبيع، أما بقى التاجر الخيبان بيفضل مخزِّن بضاعته لحد ما تبوظ وتعفِّن وساعتها مش هيلاقي زبون واحد يشتري منه وفي الآخر يموت بحسرته.

محمود: أنا مش فاهم حاجة خالص، هو حضرتك تقصدي إيه؟

نهاد: عندك فكرة يا محمود كام واحد في مصر بيموت بالفشل الكلوي كل سنة؟

محمود: لأ، ما اعرفش.

نهاد: متين وعشرين ألف واحد، هو صحيح فيه عمليات زرع كلى بتتعمل بنسبة نجاح فوق الخمسة وتسعين في المية بس للأسف المتعاطفين مش كفاية.

محمود: وانا إيه دخلي بالموضوع دا؟

نهاد: إنت هتقبض التمن وفوقيهم ليك الأجر والثواب عند ربنا.

محمود: بس انا ممكن ارفض.

طرق أحدهم الباب ودخل المكتب بعدما كاد الباب أن يتهشَّم في يده التي تشبه المطرقة. وكانت تخرج من عيني الرجل شرارةٌ كأن له القدرة بهما على إشعال اللهيب. واسترعى هذا الوجه انتباه محمود، فظلَّ يحملق فيه كثيرًا من شدة الذعر، ولكن الرجل لم يلتفت إلى محمود.

نهاد: إزيك يا عاطف؟ جيت في وقتك.

عاطف: تحت أمرك يا دكتورة.

نهاد: تعالى يا عاطف اقعد هنا؛ عاوزاك في موضوع مهم.

أشارت له الدكتورة نهاد أن يجلس بجوار محمود الذي ازداد رعبًا عندما دنا عاطف منه. ويبدو أن عاطف يعمل بالمستشفى، ولكنه لا يرتدي زي التمريض كما أن هيئته المريبة توحي بأنه بلطجي أو فتوة. وظلَّ محمود ينظر إلى ذلك الوحش الكاسر الذي يُدعى عاطف، وانكمش جسد محمود وتسارعَت نبضات قلبه.

محمود: إنت اسمك عاطف؟

عاطف: آه، فيه حاجة يا أستاذ؟

محمود: لا أبدًا؛ أصل شكلك بُرعي أكتر.

نهاد: تصوَّر يا عاطف إن الأستاذ محمود مستخسر فينا كِليته؟! وكمان مش عاوز يقبض تمنها؟!

عاطف: هو حد يقدر يعصى لك أمر يا داكتورة؟ دا انا كنت امسحه من على وش الأرض.

محمود: أنا... أنا كنت بافكَّر في الموضوع مش أكتر.

نهاد: بس للأسف يا محمود إنت ما فيش قدامك غير إنك تمضي على الورقة دي.

محمود: ورقة إيه؟

نهاد: دا إقرار بسيط بإنك متبرِّع بكِليتك بكامل إرادتك. وقصاد الورقة دي هتاخد مني شيك بمية وخمسين ألف جنيه.

عاطف: ابسط يا عم؛ الداكتورة راضية عنك.

محمود: طب ما تدِّيها انت كِليتك.

نهاد: أما بقى إذا رفضت فاحب اقول لك إنك هتطلع من هنا على المشرحة عِدِل، دا طبعًا بعد ما هناخد منك كل أعضاء جسمك اللي تهمنا، وبكدا تكون وفَّرت علينا مصاريف كتير؛ لإننا هنكون أخدنا منك كل اللي احنا عاوزينه ببلاش.

محمود: بس...

نهاد: امضي على الورقة يا محمود، والا انت عاوز عاطف يورِّيك الوش التاني؟

محمود: لأ، كله الا عاطف، وانا اقدر على زعله؟ دا كيوت خالص.

وأخيرًا قام محمود بالتوقيع على جميع الأوراق المطلوبة خوفًا من عاطف الذي قد يصيبه من شره ما لا يُحمد عقباه، ولولا أن الدكتورة نهاد سلبَت إرادته ما وافق محمود على تلك البيعة المشئومة. إن تجارة الأعضاء البشرية التي تمارسها الدكتورة نهاد تدرُّ عليها أموالًا طائلة كل يوم، غير أن هذه التجارة – والتي تشبه إلى حدٍّ كبيرٍ تجارة الرقيق – أنستها أن الرحمة يجب أن تكون صفةً ملازمةً لكل طبيبٍ بل لكل إنسان. وقامت الدكتورة نهاد بتحرير شيك بالمبلغ المتَّفق عليه؛ حيث اشترَت به سلعةً غير قابلةٍ للبيع.

نهاد: وادي الشيك بتاعك اهو؛ علشان تعرف اني ست حقانية وعمري ما اظلم حد أبدًا.

محمود: شكرًا يا دكتورة، ربنا يكثَّر من أمثالك (وكاد الدمع أن يطفر من عينيه).

نهاد: على فكرة أنا ما رضيتش اخصم تمن التحاليل اللي هنعملها لك قبل العملية، تقدر تعتبرها "كادو" من إدارة المستشفى علشان خاطرك.

محمود: هو انا هاعمل العملية دي إمتى؟

نهاد: في خلال ساعة.

محمود: طب والعملية دي خطر؟

نهاد: إطلاقًا، مجرد شكة دبوس. وكلها تلات ايام بعد العملية وهترجع لحياتك الطبيعية، ويمكن أحسن من الأول كمان.

عاطف: إنت خايف والا إيه يا اسطى؟ ما قالت لك شكة دبوس.

محمود: لا وانا هاخاف من إيه يعني؟ ما فيش حاجة تخوِّف خالص.

نهاد: أنا عاوزاك تتطمن خالص يا محمود؛ الدكتور مرجاوي هيعمل لك العملية بنفسه، ودا أشطر دكتور عندنا في المستشفى.

محمود: غني عن التعريف طبعًا، الدكتور بتنجناوي.

دخلَت شادن بدون استئذان بعدما فتحَت الباب بسرعة ولم تغلقه من خلفها. وكانت شادن مضطربةً وقد لاحت على وجهها سحابةٌ من الفزع والاضطراب.

شادن: الحقي يا دكتورة، مصيبة.

نهاد: فيه إيه يا شادن؟ خضيتيني.

شادن: المريض اللى اسمه سامح عبد ربه بتاع غرفة ٢٠٤ تعيشي انتي.

محمود: سامح مات؟ مات ازاي؟ (وقام من مكانه مذهولًا بعد أن تلقَّى خبر وفاة صديقه ثم اتجه صوب شادن وأمسك ذراعها بقوة).

شادن: معدل النيكوتين ارتفع فجأة في جسمه؛ أصل الدكتور مرجاوي نسي علبه سجايره السوبر جوه بطن المريض.

محمود: وهو يعني إيه دكتور محترم يشرب سجاير في أوضة العمليات؟

شادن: الدكتور مرجاوي ما يعرفش يشتغل في أي عملية وهو خرمان.

محمود: الدكتور مرجاوي اللي هيعمل لي العملية؟ لأ، مش هاسيب حقك يا سامح، أنا هابلَّغ عنكو وهاوديكوا في ستين داهية.

لم ينتظر محمود منهم ردًّا بل قام بدفع شادن بقوةٍ حتى سقطَت فوق عاطف، وبدأ يجري هربًا منهم. وفي لمح البصر خرج محمود من باب غرفة المكتب بعدما نجح في تعطيل عاطف لبضع ثوانٍ عن ملاحقته مستخدمًا شادن التي سقطَت لتوها فوق عاطف.

نهاد: هاتوا لي ابن الكلب دا.

جرى عاطف من خلفه بجسده الضخم الذي قلَّل من سرعته في الجري، أما محمود فقد ساعده جسده النحيف على الجري والمناورة

حتى إنه استطاع برشاقته أن يعبر من ممرات المستشفى بسرعة البرق. أبطأ محمود من سرعته فجأةً وتظاهر أنه يشير لأحدٍ ما، واحتضن فرد الأمن عندما اقترب منه عند باب المستشفى.

فرد الأمن: عَشَّة جنية تذكرة الخروج يا أستاذ.

محمود: خد خمسين جنيه وخلّي الباقي علشانك.

فرد الأمن: تُشكَر يا ذوق.

محمود: الدكتورة نهاد بتسلّم عليك وبتقول لك ان فيه واحد اسمه عاطف جاله حالة سعار، وبالأمارة هتلاقيه خارج من عندها بيجري، إوعى تخلّيه يخرج من باب المستشفى.

فرد الأمن: عاطف بشلة؟

محمود: تقريبًا.

فرد الأمن: يخرج مين يا باشا؟! وهو انا واقف هنا كيس بوزو؟!

محمود: الله ينوَّر عليك.

خرج محمود من باب المستشفى، وعندئذٍ بدأ يشعر بالطمأنينة، غير أنه استمرَّ في الجري بأقصى سرعته حتى يستدعي النجدة. وبعد لحظاتٍ جاء عاطف وهو يجري بجسده المترهِّل، لكن فرد الأمن استوقفه.

فرد الأمن: على فين يا عاطف؟ أنا مش هاسيبك تخرج من هنا.

عاطف: إوعى من وشي يا معتمد.

حاول فرد الأمن الوقوف في طريق عاطف، لكن عاطف دفعه بقوةٍ واستطاع أن يطيح به أرضًا، غير أن حيلة محمود قد نجحَت في تعطيل عاطف لبضع ثوانٍ. اتَّجه عاطف ناحية فرد الأمن الذي سقط على الأرض وأخذ منه طبنجته المرخَّصة بالقوة. وخرج إلى الشارع شاهرًا سلاحه، وجال ببصره يمينًا ويسارًا كي يبحث عن فريسته. لمح عاطف أحد المارة وهو يجري في الشارع مسرعًا، فتمكَّن عاطف من تحديد هدفه في الحال. أمسك عاطف بالمسدس، وصوَّبه ناحية محمود. خرجَت الطلقة المدوِّية من فوهة المسدس، ولكنها أصابت رجلًا آخَر كان يستقلُّ دراجته البخارية بالقرب من محمود، وساقه حظه التعِس لتلقِّي الطلقة بدلًا من محمود. التفَّ الناس على الفور حول عاطف وقبضوا عليه وسلَّموه لأحد رجال الشرطة.

وفي تلك الأثناء وقفَت شادن والدكتورة نهاد أمام باب المستشفى تراقبان الأحداث عن بعد.

شادن: نصيبة وحلّت على دماغنا.

نهاد: ولا أي حاجة.

شادن: بصراحة انتي أعصابك تلاجة يا دكتورة.

نهاد: إنتي بس اللي غبية حبتين يا شادن.

شادن: ما تفهِّميني دماغك فيها إيه.

نهاد: الموضوع بسيط: عاطف جات له أزمة قلبية ودخل عندنا الطوارئ، بس هو كان بيعاني يا حرام من اضطرابات نفسية خطيرة. وعلشان كدا اعتدى على الدكتور مرجاوي اللي كان بيعالجه، وبعد كدا اعتدى على فرد الأمن الغلبان وخد منه سلاحه المرخَّص.

شادن: طب ومحمود؟

نهاد: زمانه بيبلَّغ الحكومة.

شادن: يا نهار اسوس، وإيه العمل دلوقتي؟

نهاد: هييجوا يفتِّشوا المستشفى حتة حتة ويقلبوا عاليها واطيها وفي الآخر مش هيلاقوا حاجة.

شادن: صحيح، يعني هي أول مرة؟

نهاد: وبعدين، انتي ناسية ان التلاجات اللي فيها البضاعة بتاعتنا محطوطة في مخزن تحت الأرض والجن الازرق ما يعرفش يوصل له.

شادن: يا سلام على دماغك الألماظ يا دكتورة نهاد.

نهاد: كفاية رغي بقى يا شادن، وروحي اندهي لي الدكتور مرجاوي بسرعة.

شادن: أنا هانده عليه في الإذاعة الداخلية.

توجَّهَت شادن إلى مكتبها وفتحَت الميكروفون كي تستدعي الدكتور مرجاوي.

شادن: تن تن. على الدكتور المرجاوي السرنجاوي سرعة التوجه لمكتب الإدارة. شكرًا.

سمع الدكتور مرجاوي النداء في الإذاعة الداخلية للمستشفى ولكنه ظلَّ جالسًا مكانه يدخِّن سيجارة حشيش ملفوفة داخل غرفةٍ ليس بها أبوابٌ ولا شبابيك. وكانت تلك الغرفة عبارةً عن غرفةٍ سريةٍ في قبو المستشفى وتحتوي على العديد من الثلاجات لحفظ الأعضاء البشرية.

مرجاوي (محدِّثًا نفسه): الله يقطع مرجاوي واللي جابوا مرجاوي. هو الواحد ما يعرفش يشد نفسين من غير وجع دماغ؟! حتى "السوجارة" اليتيمة باصين لي فيها. يكونش حد شافني وانا داخل الأوضة السرية؟ ما داهية لا يكونوا ركِّبوا "كامَرات" هنا في الأوضة؟ لأ، "كامَرات" إيه بس؟ يعني هيراقبوا إيه؟ وبعدين ما فيش حاجة هنا غير تلاجات الكِبَد والكلاوي والأونص والمخاصي. لا،لا،لا،لأ، وأنا هاقرف نفسي ليه؟ أنا هاروح اشوف الولية اللي اسمها نهاد دي عاوزة مني إيه؛ حاكم دي ولية شرانية ونابها أزرق. وادي أم "السوجارة" (وألقى السيجارة على الأرض فوق سلك كهرباء).

دخل الدكتور مرجاوي إلى مكتب الدكتورة نهاد بعدما طرق على الباب.

نهاد: إنت فين يا مرجاوي؟

مرجاوي: كنت باتصيَّر في دورة الميه لا مؤاخذة.

نهاد: أنا مش قايلة ميت مرة ما فيش سجاير في أوضة العمليات.

مرجاوي: حصل.

نهاد: أمَّال إيه اللي حصل مع المريض اللي اتوفَّى النهارده بسبب إهمالك؟

مرجاوي: يا دكتورة انتي فاهمة غلط؛ الموضوع ان انا بدل ما احط علبة السجاير في جيبي حطيتها في بطن المريض، مش قصة يعني.

نهاد: عمومًا دا آخر إنذار ليك، سامع يا مرجاوي؟

مرجاوي: حاضر يا دكتورة، آخر مرة (ثم عطس).

نهاد: إنت واخد برد والا إيه؟

مرجاوي: أصل انا التزمت بتعليماتك يا دكتورة وما رضيتش اولَّع ولا "سوجارة" في أوضة العمليات.

نهاد: شاطر يا مرجاوي.

مرجاوي: وقعدت اشرب "السوجارة" في أوضة التلاجات.

نهاد: فين يا روح امك؟

وفجأةً دخلَت شادن إلى المكتب برفقة فرد الأمن، وقد اتَّسخَت ملابسهما بالهباب وكذلك وجهاهما اللذان بدت عليهما خطوطٌ عشوائيةٌ من الهباب الأسود.

شادن: حريقة يا دكتورة، يا دكتورة حريقة.

مرجاوي: أستأذن انا علشان عندي كشف مستعجل في الدلنجات.

فرد الأمن: أوضة التلاجات اتفحمت، والنار مسكت في الكهربا والكهربا مسكت في السلوك.

نهاد: إنت بتقول إيه؟

فرد الأمن: المستشفى بتولع يا دكتورة.

نهاد: شقا عمري، شقا عمري راح يا بهايم.

الشيخ

منصور ضياز طوسون

جلست السيدة فاتن تنتظر دورها في مكانٍ يشبه العيادة. وقد سيطر الطراز العربيّ على المكان المزخرَف والمعبَّق بالبخور والصندل. بدت فاتن من خلال ملابسها أنها تنتمي لأسرةٍ ذات مستوًى اجتماعيٍّ مرموق، وكانت صارمة القسمات وعصبية المزاج خاصةً كلما نظرت إلى الفتاة الصغيرة الباكية التي جلسَت بجوارها. كانت الفتاة الصغيرة تبلغ من العمر ثلاثة عشر ربيعًا، وتُدعى شاهندة وهي تعمل خادمةً في بيت السيدة فاتن. انتفضَت فاتن من على كرسيها وهي منزعجة، ثم اتجهَت نحو الرجل الجالس على مكتبٍ صغيرٍ في أحد الأركان. وكان الرجل يرتدي بالطو أبيض وكأنه تومرجي.

فاتن: هو لسه كتير على دوري يا عم سواهي؟

سواهي: يا مدام فاتن إنتي جاية هنا عند الشيخ منصور ضياز طوسون أكبر معالج روحاني على مستوى العالم، ولولا إن سيادة الوزير اتوسط لك بنفسه عند مولانا الشيخ منصور ما كنتيش تلاقي مواعيد قبل ست شهور.

فاتن: وانا قلت حاجة؟ أديني مستنية اهو (وعادت إلى مقعدها بسرعة).

سواهي: حي، مدد يا رب (بصوتٍ عالٍ).

وبعد فترةٍ من الصمت والترقب الذي ظهر في أعين الجميع خرج فريق كرة قدمٍ وهم يرتدون شورت وفانلة ناديهم ويحمل كلٌّ منهم كرة قدمٍ في يده، وخرج من خلفهم المدرب الأجنبيّ للفريق.

سواهي: شدوا حيلكم يا كباتن في الماتش بكرة، عاوزينكو ترفعوا راسنا وتكسبوا الترجِّي التونسي، مش كل سنة تبقوا حصالة.

المدرب: الشدة "ألا" الله "هبيبي" (متحدِّثًا بلكنة خواجاتي).

سواهي: هو انت منين يا خواجة؟

المدرب: أنا من لشبونة البلد (ثم أعطى سواهي ورقةً من فئة المائة دولار).

سواهي: أحسن ناس يا كوتش.

المدرب: "سوكرن" "هبيبي".

سواهي: مدام فاتن اتفضلي، مولانا الشيخ في انتظارك.

فاتن: قدامي يا مقصوفة الرقبة، حسابك معايا بعدين (دخلَت وهي تدفع الفتاة الصغيرة أمامها وتكاد أن تجرَّها من شعرها).

ظلَّ الشيخ منصور جالسًا في مكانه على الأرض، واكتفى بنظرةٍ خاطفةٍ تجاه فاتن والفتاة الصغيرة التي بدت مغلوبةً على أمرها. وكان الشيخ منصور رجلًا في متوسط العمر، له لحيةٌ بيضاء كثيفةٌ زادت من بشاشة وجهه ذي القسمات الحادة. وكان يرتدي جلبابًا أبيض من تحت عباءته الصوفية ويضع فوق رأسه طاقيةً ذات تطريزٍ مذهَّب. وجلس خلف مبخرةٍ كبيرةٍ مليئةٍ بالفحم والبخور وبعض التوابل والمستحضرات الغريبة مثل المستكة وكف مريم والزعفران.

منصور: إزيك يا فاتن؟ مين البِنَيَّة؟

فاتن: دي بنت البواب.

منصور: سرقت منك إيه؟

فاتن: وانت عرفت منين يا مولانا انها سرقت الخاتم السوليتير بتاعي؟

منصور: أنا سري باتع يا بنتي.

فاتن: ربنا يفتحها في وشك كمان وكمان.

منصور: هي البِنَيَّة اسمها إيه؟

شاهندة: إسمي شاهندة يا سيدنا الشيخ.

منصور: قرَّبي جنبي يا شاهندة، ما تخافيش وما تكدبيش.

شاهندة: والختمة الشريفة ما اعرفش حاجة عن الخاتم بتاع الست فاتن.

منصور: كله هيبان في التو الآن (وألقى بعض المواد الغريبة على البخور مما زاد اشتعاله فأضفى رائحةً غريبةً على المكان) أقسمتُ عليكِ أيتها الروح الموجودة في المكان باسم النقش المنقوش على سوار الملك سليمان أن تظهري طائعة في التو والآن.

فاتن: بسم الله الرحمن الرحيم (بصوتٍ مرتعش).

منصور (أخرج سكينة مطبخ ستانلس ستيل من تحت المبخرة): السكينة دي عليها طلسم مكتوب واللي كتبه الغول زغلول بدم حبيبته قوت القلوب بنت الأصول. أنا هاحط السكينة فوق لسانك؛ لو انتي صادقة السكينة هتعدِّي بسلام كإنها حتة كاوتش، أما لو كنتي بتكدبي السكينة هتقطع لسانك زي البوفتيك.

شاهندة: خلاص هاتكلم. أنا سرقت الخاتم من دولاب الست فاتن والخاتم اهو (وأخرجت الخاتم من لباسها).

منصور: هو دا الخاتم بتاعك يا مدام فاتن؟

فاتن: أيوه هو. ينصر دينك يا مولانا.

منصور: إيه؟ بتقولوا عاوزين كام؟ إيه؟ عشر الاف جنيه؟

فاتن: ما تحاول تتكلم مع الأسياد يا مولانا يهزُّوا المبلغ شوية.

منصور: الأسياد حطُّوا التسعيرة خلاص وما عندهمش "ديسكاونت" ولا فصال. إوعى تزعَّليهم وإلا يسخطوكي بقرة براسين.

فاتن: لأ، يسخطوني إيه؟! وانا ناقصة؟! اتفضل يا مولانا (وأخرجَت رزمة فلوس من شنطتها).

منصور: لأ، أستغفر الله، فلوس؟ أنا ما باخدش فلوس يا بنتي، أنا مش عاوز حاجة لنفسي أبدًا؛ دي طلبات الأسياد. إدِّيهم لعمك سواهي وانتي خارجة.

فاتن: حاضر يا مولانا. ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم.

منصور (بصوتٍ عالٍ): حي، كل حي ودوره جاي.

سمع الشيخ منصور صوت رنة موبايله وهي أغنية مولاي بصوت النقشبندي، فردَّ على المتصل.

منصور: السلام عليكم. لأ طبعًا، ودا معقول انسى البرنامج؟ أنا في العربية، على الدائري وجاي، بس الظاهر ان فيه حادثة؛ لإن الطريق زحمة شوية. الله يخليك. يا سيدي الشرف ليا إني هاكون مع الإعلامية الكبيرة التهام وجدي. في حفظ الله، مع السلامة.

سواهي (داخلًا غرفة الشيخ منصور): أدخَّل لك اللي بعده يا شيخ؟

منصور: لأ، ما تدخَّليش حد تاني النهارده.

سواهي: طب والجرمأ اللي بره؟

منصور: خلّيهم ييجوا بكرة.

سواهي: فيه حاجة والا إيه؟

منصور: لازم اطلع على مدينة الإنتاج الإعلامي حالًا؛ هيستضيفوني في برنامج "أشتاتًا أشتوت" اللي بتقدمه المذيعة دي اللي اسمها التهام وجدي.

سواهي: يا ساتر، دي دمها يلطش.

منصور: بس متسيَّطة وكاشاتها حاضرة.

سواهي: طب استني كدا لما ارقِيك قبل ما تروح.

منصور: جرى إيه يا سواهي؟ دا احنا دافنينه سوا.

خرج الشيخ منصور من البناية الصغيرة التي أعدَّها مركزًا للعلاج الروحاني، وجلس على الكنبة الخلفية لسيارته المرسيدس التي قادها سائقه سمنودي الذي لم يرتدِ البذلة الزرقاء المعتادة، وإنما ارتدى جلبابًا أبيض كي يتماشى مع لحيته البيضاء.

منصور: إزيك يا اسطى سمنودي؟

سمنودي: أنا بخير طول ما انت بخير يا مولانا.

نظر الشيخ منصور إلى سمنودي ودوَّى في أذنيه صوت أحد القضاة في المحكمة: "حكمَت المحكمة حضوريًّا على المتهم سمنودي فتحي سمنود بالسجن عشر سنوات مع الشغل والنفاذ"، وتردَّد صوت سمنودي في قاعة المحكمة جليًّا: "ودِّيتني في داهية يا منصور، الله يخرب بيتك يا منصور، الله يخرب بيتك يا منصور". ابتسم منصور وراح يتذكَّر ما حدث منذ خمسةٍ وعشرين عاما.

سمنودي (وقد فتح باب ڤيلا باستخدام طفَّاشة، ودخل الڤيلا ومن ورائه منصور): عارف يا منصور احنا فين؟

منصور: أيوه يا عم سمنودي، إحنا بنسرق ڤيلا المطرب سلامة بهجور.

سمنودي: وعارف أنا خدتك معايا ليه؟

منصور: علشان انا واد مخلَّص ومفتَّح واِوِر.

سمنودي: لأ؛ علشان ما لقيتش حمار غيرك يساعدني.

منصور: مقبولة منك يا عم سمنودي يا كبير الحرامية.

سمنودي: مش عاوزك تتصرف من دماغك خالص، وكل اللي عليك انك تقف عند باب الڤيلا، وأول ما تلاقي حد جاي تدِّيني إشارة علشان نهرب قبل ما حد يشوفنا.

منصور: أوامرك يا عم سمنودي، أنا هاعمل اللي تقول لي عليه بالحرف.

صعد سمنودي سلالم الڤيلا لكي يذهب إلى غرفة النوم الرئيسية. دخل الغرفة وبدأ يحاول فتح الخزانة التي بداخل الدولاب. انتظر منصور بضع دقائق، ثم اتجه إلى المطبخ وفتح الثلاجة ليأكل منها ويسدَّ جوعه من الفراخ والمكرونة بالبشاميل ومحشي ورق العنب وزجاجات البيرة. وفجأةً سمع منصور صوت خطوات أقدام أحد أصحاب الڤيلا قادمًا من الخارج. خرج إلى البهو فسمع صوته من خلف الباب. تجنَّب إصدار أي صوتٍ لكي لا يسمعه القادم. صعد إلى الدور العلويّ وحاول أن يشير بكلتا يديه لتنبيه سمنودي الذي كان منهمكًا في فتح الخزانة فلم ينتبه، فنزل منصور الدرج سريعًا واختبأ خلف الستارة حتى لا يراه صاحب الڤيلا الذي وقف على بعد بضع خطواتٍ منه.

منصور (لنفسه في صوتٍ منخفض): هي البيرة اشتغلت والا إيه؟ أنا عاوز اطرطر (وتلوَّى من شدة وجع بطنه، فسقط على الأرض وهو ممسكٌ بالستارة، فسقطَت الستارة فوق رأسه وسط ذهول صاحب الڤيلا المطرب المشهور سلامة بهجور).

سلامة: بسم الله الرحمن الرحيم. إنت إيه؟ إنس والا جن؟

منصور: أنا... أنا... أنا منصور وجاي لك برسالة من الجن الطيب علشان احذرك واقول لك ان فيه حرامي فوق عاوز يسرقك، هتلاقيه واقف جنب فرشتك وبيحاول يفتح خزنتك.

سلامة: وانت عرفت منين؟

منصور: أنا مكشوف عني الحجاب يا أستاذ سلامة يا دحلاب.

سلامة: أنا متشكر جدًّا يا منصور، لأ انا ما ينفعش انده لك بإسمك كدا؛ أنا هاقول لك يا شيخ منصور.

وبعد أن تمَّ القبض على سمنودي بتهمة السطو المسلَّح على ڤيلا المطرب سلامة بهجور انتشر الخبر في الجرائد والمجلات والإذاعة والتليفزيون عن ذلك الصبيّ الصغير الذي سخَّر الجان من أجل القبض على تشكيلٍ عصابي خطَّط لسرقة ڤيلا المطرب الشهير. وذاع صيت الشيخ منصور كواحدٍ من المبروكين ومن أصحاب الكرامات ممن لهم القدرة الخارقة على تسخير الجان وفك الأعمال السفلية والأسحار وجلب الرزق أو الحبيب وقراءة الطالع وطرد الأرواح من الملبوس وإخراج الكنوز من المقابر الفرعونية وغير ذلك من المهام الروحانية التي لا يستطيع البشر العاديون القيام بها. وفجأةً أفاق منصور من غفوته على صوت سمنودي.

سمنودي: وصلنا يا شيخ... يا شيخ منصور.

ظهرت المذيعة اللامعة التهام وجدي على شاشة إحدى كاميرات التصوير، وبدت أنيقةً وواثقةً من نفسها ولكنها في نفس الوقت متغطرسةٌ وكشريةٌ وثقيلة الظل.

إلتهام: أعزائي المشاهدين فاصل قصير ونلتقي مع العلَّامة الدكتور الشيخ منصور ضياز طوسون اللي هيكلِّمنا عن الڤيديو الحصري اللى بننفرد بيه في قناتنا واللي قام بتصويره فريق عمل برنامج "أشتاتًا أشتوت". وأنا باتوجه بالشكر لفريق عمل البرنامج اللي قدروا يصوَّروا الشيخ منصور وهو بيطرد الأرواح الشريرة من بيت أحد المواطنين الشرفاء. خلِّيكم معانا لبعد الفاصل.

بدأت الفقرة الإعلانية المعتادة في جميع القنوات الفضائية والتي غالبًا ما تصل مدتها إلى أكثر من نصف ساعة في كل فاصل. وظهر صوت رجل الإعلانات الذي وهب صوته كصدقةٍ جاريةٍ للمعلنين.

صوت رجل الإعلانات: هذا البرنامج برعاية الشركة السعودية الليتوانية للمفروشات بتقدم لك اللحاف العجيب، خبِّي جوزك يا مدام... عاوز تستثمر فلوسك في العقارات؟ بتدوَّر في العاصمة أو التجمع أو ستة اكتوبر؟ نِفسك في تربة مناسبة تتدفن فيها؟ اتصل فورًا على مدام إنعام وهي تجيب لك تربة الأحلام... محتاج حيوية ونشاط؟ يبقى محتاج فياجرير، فياجرير مستخلَص من عيدان الجرجير، فياجرير يخلِّيك زي الخرتيت، فياجرير هات مراتك من تحت السرير.

جلس الشيخ منصور على الكرسيّ المجاور للمذيعة التهام وجدي استعدادًا لبدء تصوير الحلقة المذاعة على الهواء مباشرةً.

إلتهام: اتأخرت كدا ليه يا شيخ؟ وغوشتنا عليك.

منصور: كان عندي اجتماع في المجلس الأعلى للعفاريت.

إلتهام: آه حمد الله على سلامتك. على العموم احنا هنبدأ الحلقة بشوية دردشة ما لهاش تلاتين لازمة، بعدين هنعرض الڤيديو اللى صورناه وانت بتطرد الأرواح الشريرة وبتعالج البنات الملبوسين.

منصور: تمام.

المخرج (الذي يظهر صوته في الاستديو): جاهزين يا أساتذة؟ هنطلع هوا.

إلتهام: أنا جاهزة يا أستاذ (وانتظرَت بضع ثوانٍ لكي تتلقَّى تعليمات المخرج في الإير بيس) أعزائي المشاهدين، عدنا لحضراتكم بعد الفاصل ومعانا ومشرَّفنا العلَّامة الشيخ منصور ضياز طوسون. أهلًا بيك يا شيخ منصور في برنامجنا.

منصور: أهلًا بحضرتك وبالسادة المشاهدين لبرنامجك الجميل "أشتاتًا أشتوت" اللي دايمًا بيحقَّق أعلى نسبة مشاهدة.

إلتهام: حضرتك غني عن التعريف، بس السادة المشاهدين حابين يعرفوك أكتر من خلال البرنامج.

منصور: أنا عبد من عباد الله الفقراء إلى الله، وكمان معايا ماجستير في تفسير الأحلام وحصلت على الدكتوراه في علم التاروت من جامعة "كلاكتا" وحصلت على الدكتوراه الفخرية من مؤسسة "شمهورش".

إلتهام: آه طبعًا مؤسسة "شمهورش" دي بتعمل أعمال خيرية.

منصور: لأ هي مؤسسة بتعمل أعمال بس.

إلتهام: طيب قبل ما نشوف الڤيديو اللي كل الناس مستنياه تحب تقول حاجة يا شيخ منصور؟

منصور: هو...

إلتهام: يعني ممكن تقول لنا ملابسات الواقعة؟

منصور: أيوه... هو...

إلتهام: إيه اللي حصل معاك قبل ما تروح؟

منصور: هو...

إلتهام: من البداية، عاوزة أعرف الموضوع من بدايته وبالتفصيل.

منصور: هاتنيِّل اقول اهو (بعصبية).

إلتهام: اتفضل قل لنا.

منصور: أنا كنت قاعد في مكتبي باراجع شوية طلاسم، وفجأة لقيت فريق الإعداد اللي مع حضرتك في البرنامج بيكلموني بخصوص حالة إنسانية.

إلتهام: أنا فعلًا باحب أعمل خير كتير خصوصًا مع الفقرا والغلابة والمحتاجين والمعفِّنين، بس انا ما باحبش اتكلم عن نفسي علشان الثواب.

منصور: لميت شنطة العدة وخدت بعضي على المكان اللي قالوا لي عليه.

إلتهام: وبعدين؟

منصور: أول ما قرَّبت لقيت أجهزة الاستشعار عن بعد رصدت قوة كهرومغناطيسية كبيرة حوالين المكان.

إلتهام: دا بسبب الأرواح الشريرة؟

منصور: لأ كان فيه ورشة خراطة جنب البيت.

إلتهام: آه، وبعدين؟

منصور: دخلت البيت لقيت راجل ومراته وبناتهم التلاتة قاعدين يتفرجوا على المسلسل العربي، الراجل أول ما شافني طلع يجري.

إلتهام: أكيد خاف لما افتكرك جني؟

منصور: لأ، هو الحقيقة افتكرني محصِّل النور.

إلتهام: يا ريت تختصر شوية يا شيخ منصور وبلاش التفاصيل اللي ما لهاش لازمة.

منصور: قعدت مع الولية وبناتها وعرفت منهم الموضوع من طأطأ لسلامو عليكو.

إلتهام: أيوه، إيه الموضوع بقى؟

منصور: البنات كانوا بيلعبوا مع بعض، واحدة منهم رمت الكوتشي بتاع اختها جوه "التلاويت".

إلتهام: أكيد رموا الكوتشي بعد كده علشان ريحته بقت مصنِّنة.

منصور: المشكلة ان الكوتشي قبل ما يقع في "التلاويت" كانت ريحته قبر، الجنية اللي ساكنة في "التلاويت" ما قدرتش تستحمل ريحته، فاضطرت تكتم نفسها لحد ما ماتت.

إلتهام: ماتت؟

منصور: عيلتها الأشباح لما عرفوا اللي حصل قرروا ينتقموا من البنات التلاتة.

إلتهام: أنا خايفة بجد.

منصور: وبدأت حاجات غريبة تحصل في البيت.

إلتهام: حاجات غريبة زي إيه؟

منصور: الخلاط يبوظ، "الألامونتال" يصدِّي، اللاب يهنِّج.

إلتهام: والبلاعات ما كنتش بتطفح؟

منصور: البلاعات طفحت كلها، بس هما جابوا الأسطى عمرو كومبنيشن السباك علشان يسلّك البلاعات.

إلتهام: أنا باقول نشوف الڤيديو أحسن من الهري اللي بنحكي فيه، بس نخلّي بالنا يا جماعة بلاش الأطفال تحت تلاتين سنة يتفرجوا على الڤيديو اللي هنعرضه لحضراتكم دلوقتي.

بدأ عرض الڤيديو وظهرَت المذيعة التهام وجدي بصحبة الشيخ منصور وهما يدخلان بيتًا وضيعًا في إحدى الحواري الفقيرة وقد انحنَت التهام وجدي وهي تصعد السلم الضيق وقد سدَّت أنفها بيدها من الرائحة العطنة كما راحَت تهشُّ الذباب بيديها. ولما دخلا البيت راحت التهام تتفحصه كما تتفحص العائلة القاطنة فيه بقرف. وجلس الشيخ منصور بجوار البنات الثلاث. اقترب من إحداهن، وضع يده على جبهتها، وراح يتمتم بكلامٍ غير مفهومٍ ويرشُّ على وجهها ماءً من زجاجة جلانس.

منصور: إسمك إيه يا شاطرة؟

إبتهال: اسمي ابتهال وبيدلعوني يقولوا لي يا لوجي (ثم تغيَّر صوت الفتاة فأصبح خشنًا محشرجًا ثم احولَّت عيناها) إنت مين وعاوز مني إيه؟

منصور: أنا بأمرَك تخرج من جسمها أحسن لك.

إبتهال: مش هاخرج منها وهافضل أأذيها براحتي، ولا تِقدَر تعمل معايا حاجة هاهاهاها.

منصور: إنت اسمك إيه يالا؟

إبتهال: أنا من الجن اليهودي واسمي شاؤول.

منصور: تعرف محمد بيه بنيامين اللي في قسم أول تل أبيب؟

إبتهال: لأ، ما تجيبش سيرته قدامي، جتتي بتتلبِّش منه.

منصور: هتخرج من جسمها والا اكلمهولك؟

إبتهال: لأ، خلاص هاخرج من جسمها. تحب اخرج من صباع رجلها الصغير؟

منصور: لأ، اخرج من عينها؛ ريحة رجلها مش هتعجبك.

إبتهال: عينيها معمَّصة، مش هاقدر اخرج منها.

منصور: خلاص اخرج من أي حتة تعجبك.

إبتهال: أنا باخرج اهو، باخرج، باخرج (اختفى الصوت تدريجيًّا، وصدر عن ابتهال صوت ضراط شديد، ثم عاد إليها صوتها الأصلي). هو فيه إيه؟

منصور: حمد الله على سلامتك يا ابتهال.

إبتهال: أنا فين؟ إنت مين؟ أنا إيه اللي جابني هنا؟

منصور: من فضلك يا حاجة خدي ابتهال في أوضة تانية بعيد عن هنا علشان ممكن ترجع تتنكس.

الأم: كدا البت خفِّت يا داكتور؟

منصور: إحنا عملنا اللي علينا والباقي على ربنا، لو عدت الأربعة وعشرين ساعة الجايين على خير يبقى الخطر زال.

الأم: يالا يا بت قدامي ع المطبخ علشان تقرطفي الملوخية.

منصور: يا ريت الكاميرا تخش علينا بالزووم مطرح ظرطة البت، هنلاقي الكنبة اتحرقت وفيه ريحة شياط معبِّيَّة المكان.

هالة: آجي أنا يا عمو؟

منصور: إنتي اسمك إيه؟

هالة: هالة.

منصور (وقد وضع يده على جبهة الفتاة، وراح يتمتم بكلامٍ غير مفهومٍ ويرشُّ على وجهها الماء من زجاجة الجلانس): اخشع، أنا بأمرك تخشع.

هالة (تحوَّل صوتها ونظرها كما حدث مع أختها): أمان يا ربي أمان.

منصور (صفع هالة على خدها الأيسر، فظهرَت بقعٌ من الدماء على ملابسها البيضاء): لما اقول لك تخشع يبقى تخشع وانت ساكت.

هالة: "حظراتنا" كاظم بيك، إنت "ڤالد" "فلَّاهة" كلبة، خرسيس أدب سيس، أوغلي أغا.

منصور: ولزومها إيه سيرة الأب والأم، عمومًا انت اللي جبته لنفسك (وأخرج صورةً للفنان شكري سرحان من فيلم "رد قلبي").

هالة: علي ابن الجنايني... لاااا... (تقع النجفة على الأرض وتتكسر الفازات الموضوعة على الترابيزات، ثم تعود لها نبرة صوتها الطبيعية): أنا تعبانة قوي، مش قادرة. هو إيه اللي حصل؟ وإيه الدم دا؟

منصور (محدِّثًا الأم) البت دي تقعد أسبوع ما تعملش حاجة في حياتها غير انها تتفرج على فيلم "الأيدي الناعمة" وفيلم "قبضة الهلالي".

الأم: حاضر يا اخويا.

منصور: وإوعي تغفِّلك وتتفرج على "حريم السلطان".

الأم: حاضر يا اخويا.

منصور: وانتي مين؟ (وأشار نحو الفتاة الثالثة والتى تُدعى فاتن).

فاتن: لأ، انا فاتن جارتهم يا شيخ ومش ملبوسة ولا حاجة.

منصور: عمومًا انا خلَّصت كل حاجة، بس أهم حاجة لازم تبلَّغيهم ان البيت يتمسح لمدة أسبوع بالسائل اللي في الإزازة دي.

فاتن: علشان يحصَّنوا البيت؟

منصور: لأ، دا ديتول مستورد، عليه عرض.

جلس الأستاذ عيسوي كشمير مخرج البرنامج في غرفة الكنترول وهو يتابع البرنامج من خلال الشاشات الموجودة في تلك الغرفة.

عيسوي: هايل يا أستاذة التهام، نطلع فاصل (وحاول الضغط على الزر المنوَّر المكتوب عليه ON AIR، ولكن الزر لم يستجب لمحاولاته المتكررة من أجل فصل البث الهوائي، فنادى على مسعد فني الكهرباء لكي يصلح العطل). إنت يا زفت يا اللي اسمك مسعد.

مسعد: خير يا أستاذ عيسوي؟ هو الواحد ما يعرفش ياخد تعسيلة في "الاستوريو" بتاعكم؟

عيسوي: تعالى شوف الزرار دا معلَّق ليه.

مسعد: يا نهار إسود ومنيل على دماغنا ودماغ اللي جابونا!

عيسوي: فيه إيه؟

مسعد: فيوز الكتاوت لسع جوه السربنتينة.

عيسوي: ودا معناه إيه؟

مسعد: كدا مش هنعرف نقطع البث المباشر من على الأستاذة.

عيسوي: طب والحل؟

مسعد: لازم احل المكنة والجوان علشان نغيَّر الفيوز. معاك مفك ألانكيه؟

عيسوي: أمَّال فين العدة اللي معاك؟

مسعد: سبتها للواد أيمن بريزة ابن اختي علشان عنده مرمَّة عند كوبري بشتيل.

عيسوي: اتصرف بسرعة يا بني آدم، واوعى تجيب سيرة لحد لأحسن الولية اللي اسمها التهام وجدي تقطع عيشنا من القناة.

مسعد: اتطمن يا أستاذ؛ أنا هاتصرف (وأمسك بموبايله واتصل بابن أخته أيمن بريزة). إيه يا أيمن؟ عامل إيه؟ وابوك وامك كويسين؟ طب الحمد لله. إيه؟ يا نهار اسود! إزاي الكلام دا؟ فتحي الموَّان أجَّر لك الهيلتي بتلتميت جنيه؟! هو مش عارف انك تبعي؟ روح ارمي له الهيلتي في وشه وخد فلوسك منه. عملت كده؟ ودماغه اتفتحت؟ آه، واتقبض عليك؟ آه. وانت في البوكس دلوقتي؟ آه. طب يا أيمن هاكلِّمك بعدين، وما تنساش تسلِّم لي على ابوك وامك.

عيسوي: كدا مفيش عدة؟ صح؟

مسعد: ولا تعتل هم يا أستاذ عيسوي؛ أنا هاتصرف في عدة من بتوع الصوت والا بتوع الديكور.

عيسوي: بسرعة يا بني آدم؛ هنروح في داهية كلنا.

مسعد: ثواني يا أستاذ وكل حاجة هتبقى تمام.

عيسوي: ربنا يستر.

إلتهام: كدا احنا طلعنا فاصل يا شيخ منصور، تحب تشرب حاجة؟

منصور: أشرب قرفة علشان تبقى قرفتنا حلوة.

إلتهام: هاتوا له قرفة، بس الحلقة النهارده كانت تحفة والناس كانت مصدَّقة.

منصور: بارك الله فيكي وفي الأساتذة بتوع الجرافكس اللي شغالين معاكي.

إلتهام: أنا جيت معاكو بالعافية، رغم إني ما باحبش اروح الحتت المعفِّنة دي.

منصور: بالك انا اتخضيت لما شفت منظر الدم، بس قالوا لي إنه شربات ورد، والا النجفة لما وقعت؛ أتاريهم كانوا رابطينها بحبل.

إلتهام: والمؤثرات الصوتية اللي ضفناها، تخلّيك تحس انها بجد.

منصور: بس الراجل وبناته تعبوني قوي وأنا باحاسبهم؛ تخيَّلي خدوا مني خمس بواكي في ساعتين زمن.

إلتهام: أما ناس طماعين صحيح، بس المهم ان الحلقة اتذاعت وحقَّقت نجاح كبير.

منصور: دا من فضل ربنا سبحانه وتعالى.

عيسوي (ظهر صوت المخرج جليًّا في الاستديو): يالا هنرجع من الفاصل.

إلتهام: إحنا لحقنا يا أستاذ عيسوي؟ دا حتى الشيخ منصور لسه ما شربش قرفته.

عيسوي: معلش فيه عطل عندي في السنتر لوك ولازم نرجع هوا حالًا.

إلتهام: أعزائي المشاهدين والمتابعين لبرنامجنا المتميِّز "أشتاتًا أشتوت"، عدنا إليكم بعد الفاصل ولسه معانا الشيخ منصور ضياز طوسون علشان يرد على أسئلتكم واستفسارتكم. ومعانا تليفون، نقول: آلو.

المتصل: مساء الخير.

إلتهام: أستأذنك نوطِّي صوت التليفزيون وتسمعنا من التليفون.

المتصل: أنا أصلًا مش فاتح التليفزيون.

إلتهام: نتعرف بحضرتك، مين معانا؟

المتصل: مع حضرتك جورج الصغنن.

منصور: إنت مسيحي يا أستاذ جورج، مش كدا؟

إلتهام: وانت عرفت منين انه مسيحي يا شيخ منصور؟

منصور: لأ، دي حاجات من عند ربنا ما اقدرش اتكلم فيها.

إلتهام: أستاذ جورج، تحب تقول إيه عن الڤيديو اللي كلنا شفناه؟

المتصل: والله أنا أحب اقول انكو شوية نصابين، وانا بكرة الصبح هاقدِّم فيكو بلاغ للنائب العام.

إلتهام: أنا ما اسمحلكش...

المتصل: تسمحي والا ما تسمحيش، الناس كلها شافتك وانتي بتتكلمي مع الشيخ منصور في الفاصل، وعرفنا إنكو مفبركين الڤيديو سوا، كفاية بقى كدب وتضليل.

إلتهام: للأسف الاتصال اتقطع مع الأستاذ جورج اللي واضح جدًّا إنه مزقوق علينا من القنوات المنافسة.

منصور: اقفلي الحلقة يا أستاذة، أنا مش هاكمِّل.

إلتهام: ليه بس يا شيخ منصور؟

منصور (خلع الميكروفون من تحت ملابسه): إنتي لسه مش فاهمة والا إيه؟ أنا وانتي رحنا في داهية خلاص.

إلتهام: إنت بتقول إيه؟

منصور: واضح ان كلامنا مع بعض في الفاصل كان متذاع يا أستاذة. أنا هاشوف حتة اتدارى فيها لحد ما الموضوع يهدا، ويا عالم هيهدا والا لأ.

إلتهام: يعني إيه؟ اتفضحنا؟

منصور: وفضيحتنا بقت بجلاجل.

إلتهام: فضيحتك لوحدك يا منصور، أنا التهام وجدي والأجر على الله.

الفنان

أمير شامل شلاطة

جاء المتر لطفي بوفتيك ومن خلفه عددٌ من العاملين والطهاة بمطعم ومسمط "الأصلي للمأكولات والمشويات"، وتوقَّف المتر لطفي والعاملون من حاملي الصواني والطواجن أمام الترابيزة الملوكي التي يجلس عليها الممثل الصاعد بسرعة الصاروخ أمير شامل شلاطة وبجواره كلٌّ من مدير أعماله حمادة فرعون والراقصة سماهر العنب. أشار المتر لطفي لأحد الطهاة بالتقدم ليصبَّ طاجن الملوخية، ثم أشار المتر لطفي للعاملين الآخرين بوضع صواني الكبدة والكوارع والفشة والطحال والطرب والممبار فوق الترابيزة.

لطفي (متحدثًا في الميكروفون): بنرحب كلنا بالفنان الجميل والممثل القدير أمير شامل شلاطة وصحبته اللذيذة اللي مشرَّفانا ومنوَّرانا: الأستاذ حمادة فرعون والفنانة الإستعراضية الجميلة سماهر العنب (ويخرج من وسط الجرسونات حاملو الدفوف والصاجات والمزامير ويعزفون لحن التحية على طريقة فرقة حسب الله، ثم يعزفون السلام الوطني والمتر لطفي يشير بيديه كأنه مايسترو الأوركسترا).

أمير: شكرًا يا شباب (وأمسك بالملعقة كي يأكل من الأرز ولكن لطفي أمسك يده ومنعه من الأكل).

لطفي: إنت هتاكل على طول كدا منك لنفسك يا نجم "الضراما"؟! (وظلَّ واقفًا أمام أمير واقترب منه برأسه مبتسمًا ببلاهة).

أمير: إنتو هتجيبوا لي حد يأكّلني والا إيه يا شيف لطفي؟

لطفي: إنت ما رسِّيتش نجم النجوم على الفولة والا إيه يا حمادة يا ابو الفراعنة؟

حمادة: معلش يا عم لطفي؛ عندي انا السهوة.

لطفي: سهوتك معاك يا حبيبنا.

سماهر: إيه الحوار؟

حمادة: سبوبة ع الماشي، واهي كلها بتُرزَق.

أمير: والأُبَيِّج؟

حمادة: في التلاجة من امبارح يا نجم.

أمير: والكلام على إيه؟

حمادة: الكلام مكتوب في الورقة ومش ناقصه غير القِوالة (وأخرج ورقةً من جيبه ثم أعطاها إلى أمير).

أمير (قرأ الورقة ثم وضعها جانبًا): وانا دايمًا جاهز.

لطفي: صوَّر يا ابني (وأشار إلى حامل الكاميرا ببدء التصوير) بنرحَّب كلنا بالفنان الجميل نجم المسرح والتليفزيون والسينما أمير شامل شلاطة وبنرحَّب كمان بصحبته اللذيذة الأستاذ حمادة فرعون والفنانة الإستعراضية سماهر العنب.

أمير: ناس كتير من أصحابي وحبابيبي كلّموني على طعامة وفخامة الأكل هنا في مسمط الأصلي، والنهارده قرَّرت اجي هنا في مسمط الأصلي فرع المعصرة علشان اتأكد بنفسي (وبدأ يتذوَّق من الأطباق التي وُضِعَت أمامه) يا جماعة انا عاوز اقول لكو: الكوارع مظبوطة ظبطة معلّم، طاجن الكِبَد والكلاوي فيه طعم جوسي مخلّيه في حتة تانية خالص، مش قادر اقول لكو بقى الفشة... (وشرق وكاد يطرش بعدما تذوَّق قطعةً من الفشة) الفشة تحفة بجد، المخاصي بقى بتدوب في البق كأنها كراميلًا. وعشان كدا بانصح كل فانزاتي الحلوين وكل اللي بيتابعوني على الفيس أو على الإنيستا إنهم يروحوا مسمط "الأصلي" فرع المعصرة.

لطفي: ستوب، تمام كدا يا نجم النجوم.

أمير: إستنى انت رايح فين؟ شيل القرف دا من على الترابيزة وهات لي كوباية شاي وشريط أنتينال.

لطفي: أوامرك يا نجم (وأشار إلى مساعديه كي يرفعوا الأطباق من على الترابيزة).

أمير: الأكل وحش قوي يا حمادة، أنا هاطرش.

حمادة: معلش بقى يا نجم، أكل العيش مر.

أمير: شكلك هتجيب أجلي ياض يا حمادة.

حمادة: بعد الشر يا أنِشْطة.

أمير: نشوف شغلنا بقى وكفاية حرق ع الفاضي.

حمادة: أنا جاهز (وأمسك موبايله ووضعه على الاستاند وضبطه على وضع التصوير)، جاهزة يا سماهر؟

سماهر: أنا دايمًا جاهزة يا نيِّ عيني من جوه.

حمادة: سري، تو، وان. أهلًا بيكم كل متابعينا وحبايبنا في كل حتة. النهارده معانا ومعاكو ومشرَّفانا ومشرَّفاكو مفاجأة من العيار التقيل، معانا الفنانة الإستعراضية والراقصة اللولبية سماهر العنب.

سماهر: أهلًا بيك يا حمادة ومتشكِّرة على التقديمة اللذُّوذة.

حمادة: كلِّمينا على "الأوت فيت" بتاعك.

سماهر: "باردون" يعني هو إيه "الأوت فينت" دا؟

أمير: ستوب، إنت ما بعتلهاش "الاسكريبت"؟

حمادة: عليا الطلاق بعتوهولها ع الواتس.

سماهر: ما انا باعرفش اقرا.

أمير: طيب بصي يا سماهر، "الأوت فيت" يعني لامؤاخذة "الكومبليزون" اللي انتي لابساه، هتقولي جبتيه من آني داهية. مفهوم؟

سماهر: خلاص فهمت.

أمير: سري، تو، وان. نبدأ.

سماهر: "الديريس" دا أنا اشتريته من عند "أتولييه" الأسطى فتحي المنجِّد، و"الميكاب" بقى عاملاه عند مدام بوسي كات اللي في نزلة بسوس، أما شعري بقى عاملاه عند موسيو بلعوطي "الكاوافير".

حمادة: سماهر إحنا كنا سامعين انك بدأتي تصوير أول تجربة سينمائية ليكي.

سماهر: ما فيش حاجة بتسخبَّى عليكو أبدًا (وأطلقَت ضحكةً رقيعة)؛ أنا فعلًا باصوَّر فيلم ثقافي إنتاج مصري أمريكي مشترَك مع المخرج الكبير قرني أبو الأرايل. والفيلم بيتكلِّم عن الجانب الإنساني في حياة فتاة ليل، بنت محترمة ومؤدَّبة وبتراعي ضميرها في شغلها. الفيلم "بلاس" تسعتاشر وبيجمع بين القصة والمناظر الساخنة وطبعًا كله في سياق الدراما.

حمادة: وحياة امك؟ قصدي... واضح إن الموضوع هادف.

سماهر: شوف يا حمادة: الفنان اللي بجد هو اللي يقدر يوصَّل رسالة لجمهوره من خلال فنه.

أمير: "ستوب"، مين الحيوان اللي فسَّا؟

سماهر: جرى إيه يا عينيا؟ هي الريحة بتبان في الفيديو؟!

أمير: مش بتبان في الزفت الفيديو، بس فسيتك عمتنا.

سماهر: يا اخويا ابقى شيلها في المونتاج.

أمير: أنا غالبًا هاشيلك انتي شخصيًّا في المونتاج.

حمادة: طب نكمِّل يا أساتذة، أنا الشمس بتروح مني.

أمير: شمس إيه يا اهبل؟! احنا بنصوَّر داخلي.

حمادة: طب نكمِّل يالا عشان نلحق نرفع الفيديو دا النهارده.

أمير: نكمِّله بعدين يا حمادة.

حمادة: ليه كدا بس يا نجم؟ دا هيجيب فوق المليون مشاهدة في ساعة زمن.

أمير: لا يا شيخ!

حمادة: أصل المعاتيه ما فيش أكتر منهم (وضحك بصوتٍ عالٍ).

أمير: سيبك من الفيديو خالص دلوقتي، إحنا عندنا معاد مع ابو عدنان.

سماهر: ويطلع مين ابو عدنان دا بقى؟ (وغمزَت بعينها كأنها تلمِّح لشيءٍ بذيء).

أمير: دا منتج الفيلم الجديد وقال إنه هيجيب معاه المؤلف عشان نتكلِّم في السيناريو.

حمادة: هو قال لك انه جاي إمتى؟

أمير: زمانه جاي.

جاء أبو عدنان مرتديًا جلبابه الفضفاض وتبعه السيناريست المعروف فتحي العواطلي. جلس أبو عدنان على مرحلتين

– بسبب كرشه المتدلّي – فوق الكرسي المقابل لكرسي أمير بجوار سماهر.

أبو عدنان: أنا مو "مصدَّج" نفسي إني "جاعد" هالحين مع الممثل الكبير أمير شامل شلاطة صاحب الأفلام الأكشن اللي "بتحجج" إيرادات "فوج"... "فوج" في السما وشباك التذاكر "حجها" دايمًا "نمبر وان".

أمير: تسلم يا ابو عدنان؛ دا من ذوقك.

أبو عدنان: شوف يا أستاذ أمير، أنا تركت أعمالي ومشاريعي الكبيرة وركبت الرولز رويس "حجي" وجيت هالحين لما عرفت إني "هاجابلك" يا فنان و"اجابل" أحبابك وأصحابك الزين.

أمير (وقد لاحظ أن عيني أبي عدنان تكادان تلتهمان سماهر): نسيت أعرَّفكوا بابو عدنان منتج الفيلم الجديد و...

أبو عدنان: رجل أعمال من أغنى أغنياء العالم ومعايا فلوس كتير، ستين تلاف جنيه (ضحك الجميع على استظرافه). ما تنساش تكتب هذا الإفيه في الفيلم يا أستاذ فتحي.

فتحي: كتبته خلاص يا طال عمرك. بالك يا أستاذ أمير؟ أكتر من نص الإفيهات اللي مكتوبة في الفيلم أنا مستوحيها من أبو عدنان.

أمير: ربنا يستر، قصدي الإفيهات اللي زي دي هتجيب صريخ في الصالة، صريخ بجد مش هزار.

فتحي: مش كدا والنبي؟

أمير: اسمح لي يا ابو عدنان اعرَّفك بصديقي وجوز أختي ومدير أعمالي حمادة فرعون، وطبعًا...

حمادة: أهلًا أهلًا (مرحِّبًا بأبي عدنان الذي أدار وجهه للناحية الأخرى).

أمير: وختامها مسك بومبوناية القعدة الراقصة الإستعراضية سماهر العنب.

أبو عدنان: دي عنب ورمان ومانجا وفراولة، فخفخينا يعني.

فتحي: أكتب الإفيه اللذيذ دا؟

أبو عدنان: لأ انت تكتب هالحين دور البطولة للفنانة الوزووظة الصاروخية سماهر، وبلغ مخرج الفيلم الأستاذ عماد السنتريسي يكتب لها "عجد" بخمسميت ألف دولار.

سماهر: بجد؟ طب انا ممكن ابدأ شغل في الفيلم إمتى؟

أبو عدنان: من هالحين، بس لازم "جبل" كل شي أعمل لك casting.

سماهر: يا اخويا ويطلع إيه "الكاستر" دا؟

حمادة: دا اختبار تمثيل يا سماهر (غمز بعينه).

سماهر: آه مش تقول كدا، عندك "موكنة"؟

أبو عدنان: الڤيلا "حجي" في مراسي.

سماهر: طب يالا بينا قبل زحمة المحور.

أبو عدنان: يالا بينا يا كتكوتة (وذهب برفقة سماهر التي أطلقَت عدة ضحكاتٍ خليعة).

حمادة: البت سماهر دي بايضة لها في القفص.

أمير: بنت حلال وتستاهل.

حمادة: نشوف احنا أكل عيشنا بقى.

أمير: نخش ع الفيلم.

فتحي: أول حاجة لازم تعرفها إن الفيلم دا هو أول فيلم في الشرق الأوسط يتعمل بتقنية الفور دي.

أمير: يعني إيه؟

فتحي: يعني ما فيهوش غير أربع ممثلين بس.

أمير: شوَّقتني للفيلم يا اسطى.

حمادة: هو الفيلم دا أكشن والا كوميدي والا عدم المؤاخذة "زازبنز"؟

فتحي: "زازبنز"؟!

حمادة: آه يعني حب وغرام وكلام فاضي من دا.

فتحي: هو دا مفهومك عن "السازبنز"؟! عمومًا الفيلم فيه كل حاجة: أكشن ورعب وكوميدي، يعني تقدر تقول فيلم كوكتيل (وضحك وحده بينما اكتفى حمادة وأمير بالنظر إليه دون كلام).

أمير: بص يا أستاذ فتحي علشان نبقى متفقين: أنا الإفيهات اللذيذة بتاعتك دي لا يمكن اقولها.

فتحي: شوف يا نجم: أنا اتعلمت الكتابة على إيدين أساتذة كبار زي الدكتور حمدي فتلة والأديب العالمي شنواني فتح الباب وغيرهم.

حمادة: دول عتاولة السيناريو في البلد.

فتحي: وعلّمونا إن الكوميديا في مصر تلات أنواع ما لهمش رابع.

أمير: إيه هما التلات أنواع بقى؟

فتحي: النوع الأول من الكوميديا إسمه كوميديا الأباحة ودا باين من إسمه إنه بيعتمد على الأباحة ويا حبذا لو حطينا كلمة "أمك" في أي جملة مفيدة فمثلًا نقول: "ليلة أمك سودا" أو "وش أمك فقر" أو "هتعمل ناصح بروح أمك؟"

حمادة: يخرب بيت أمك (وضحكوا جميعًا).

فتحي: شفت بقى جابت ضحك والا لأ؟

أمير: طب والنوع التاني؟

فتحي: التاني إسمه كوميديا التنمر.

حمادة: هو إيه التنمر دا يا اسطى؟

فتحي: يعني نجيب واحدة تخينة أو واحدة وحشة أو واحد قصير، ونقعد نتريق على شكلهم، ولعلمك النوع دا مطلوب قوي اليومين دول.

حمادة: "قَراقتَر" يعني؟

أمير: طب والنوع التالت؟

فتحي: دا أهم نوع وأكتر نوع بيخش القلب من أوسع أبوابه.

حمادة: دا اللي هو إيه يعني؟

فتحي: كوميديا الألش، والنوع دا علشان يجيب ضحك للرُّكَب لازم يبقى متغلّف بمزيكا تبروزه. وعلى رأي المثل: "لو الإفيه حمضان حط له مزيكا يبقى جنان".

حمادة: يسلم فُمَّك يا أستاذ فتحي يا عم "المسقفين" كلهم، صحيح يا جدعان العلم نور.

فتحي: دا سيناريو الفيلم، هاسيبهولك تقراه.

أمير: طب ما تدِّينا نبذة مختصرة عن الفيلم، بس ع السخَّان.

فتحي: شوف يا سيدي: الفيلم اسمه "ولاد زفت".

أمير: اسم "عميك" وبيَّاع.

فتحي: الأسطى زفت ميكانيكي تكاتك بريمو، إيده تتلف ف حرير(ظهر الأسطي زفت من ورائهم وهو يصلح توك توك، ثم يشير بإبهامه للزبون صاحب التوكتوك أن كل شيء تمام، ولكن التوكتوك ينفجر) الأسطى زفت كان مشغَّل معاه في الورشة عياله الأربعة: فادي ولؤي وإياد وآسر، بس للأسف الرِّجل خفَّت عن الورشة والزباين طفشت؛ مش عشان الكام توكتوك اللي فرقعوا جوة ورشته؛ لأ، الأسطى زفت ما كانش بيستحمى وكانت ريحة بطاطه زي إسمه بالظبط. الحالة ضاقت بيهم،

والعيال الأربعة قرروا يهربوا من الورشة بسبب ريحة بطاط ابوهم. ومن يومها ولاد زفت عرفوا السكة الشمال: سطو مسلح، بلطجة، مخدرات، نسوان، بقدونس... ما سابوش حاجة غلط إلا وعملوها، بس دا ما يمنعش انهم عيال جدعان ورجولة ودمهم خفيف.

أمير: الفيلم واضح كدا انه هادف وبيقول رسالة مهمة للشباب.

فتحي: وكمان مشهد الكباريه المعتاد وكام مشهد سخن من اللي قلبك يحبهم، دا غير طبعًا كام أغنية من أغاني المهرجانات اللذيذة اللي أهل الحارة كلهم بيرقصوا عليها.

أمير: أنا عاجباني السكة دي.

فتحي: حيث كدا بقى نمضي العقد.

أمير: هتدفعوا كام؟

فتحي: ما اخبيش عليك هي الميزانية محدودة شوية، عشان كدا أبو عدنان كتب لك عقد بمليون دولار بس.

أمير: كام؟

فتحي: دا غير عربية لامبورجيني هدية من ابو عدنان، هتستلمها كمان يومين من جمرك الفيوم.

أمير: أنا موافق.

فتحي: أبو عدنان ساب لك معايا العقد عشان تمضيه وسايب لك كمان شيك بمليون دولار تقدر تصرفه بكرة الصبح من بنك "السي بي سي" فرع فم الخليج.

أمير: كدا يبقى ميت فل واربعتاشر.

فتحي: بس ابو عدنان عنده شرط واحد.

أمير: شرط إيه؟

فتحي: أصل ابو عدنان راسه وألف سيف انك ما تشتغلش مع منتجين تانيين لمدة خمس سنين.

حمادة: أيوه، بس احنا ماضيين عقود عشر أفلام وصرفنا مقدَّم العقود.

أمير: خلاص يا حمادة اسكت انت دلوقتي.

حمادة: يا أمير فكَّر كويس.

أمير: إنت نسيت نفسك والا إيه يا ياض يا حمادة؟ باقول لك إيه، إنت مرفود، ما لكش عيش معايا، وانا من بكرة هاتعاقد مع رامي عباس.

حمادة: هي حصَّلت يا أمير؟! دي آخرتها؟! (وغادر المجلس غاضبًا).

أمير: آه؛ إنت أصلك ما بقيتش من مستوايا خلاص، يالا غور في ستين داهية.

فتحي: خير ما عملت، وانا من بكرة هاجيب لك مدير أعمال توم كروز.

أمير: هو دا الشغل والا بلاش، وادي إمضتي على العقد (ووقَّع على العقد وأعطاه لفتحي).

فتحي: فيه تفصيلة بسيطة قبل ما اسلِّمك الشيك.

أمير: فيه إيه تاني؟

فتحي: طبعًا انت عارف إن ابو عدنان "بيزبس" مان، وعشان كدا حابب انه يضمن حقه، ودا طبعًا في حالة لو انت أخليت بشروط العقد.

أمير: يضمن حقه ازاي يعني؟

فتحي: قبل ما اسلّمك الشيك اللي بمليون دولار هتمضي لي شيك بمبلغ بسيط: اتنين مليون جنيه بس.

أمير: أيوه، بس...

فتحي: أبو عدنان طبعًا مش هيصرف الشيك، بس زي ما تقول كدا محتاج ضمان بسيط.

أمير: لكن...

فتحي: عمومًا لو مش عاوز بلاش وانا هابلَّغ ابو عدنان انك رفضت تمضي.

أمير: وانا ما اقدرش على زعل ابو عدنان (وأخرج دفتر شيكات من جيبه، ووقَّع على شيك) وادي شيك لحامله أهو باتنين مليون جنيه، بس إوعى تخلّي أبو عدنان يصرفه.

فتحي: عيب.

أمير: وانا في خلال ساعة زمن هالغي كل العقود اللي وقَّعتها مع المنتجين التانيين.

فتحي: يبقى عملت خير.

انتظر أمير دوره مع عملاء أحد البنوك الاستثمارية الكبرى. ونُودِيَ على رقمه على شبَّاكٍ تعمل به موظفةٌ جميلة الملامح وتمتلك ابتسامةً رقيقةً تخلب قلوب الناظرين. وقف أمير مبتسمًا أمام الشبَّاك، ونظر للموظفة في صمت، وظلَّ يهزُّ رأسه في خيلاء دون أن يبدأ حديثه.

الموظفة: اتفضل حضرتك، خير يا أستاذ؟

أمير: إنتي مش عارفاني والا إيه؟

الموظفة: لا والله، ماحصلّيش الشرف.

أمير: "سوري" النضارة واكلة نص وشي؛ أصلها ماركة (وخلع نظارته الشمسية). عرفتيني كدا يا "مازمازيل"؟

الموظفة: آه، أنا آسفة جدًّا، إنت السواق بتاع طنط غدود؟

أمير: طنط غدود مين؟

الموظفة: طنط غدود باعتاك تاخد فلوس الجمعية، مش كدا؟

أمير: لا، ما حدش بعتني. شكلك كدا ما بتتفرجيش على تليفزيون.

الموظفة: هو حضرتك جاي تصلَّح تليفزيونات؟

أمير: لأ، أنا عاوز اصرف الشيك دا بمليون دولار (وأعطى المظروف الذي يحوي الشيك للموظفة).

الموظفة (وقد ضحكَت عندما رأت الشيك): إيه دا حضرتك؟

أمير: لو البنك ما فيهوش سيولة كفاية أنا ممكن أسحب خمسميت ألف دولار كاش وأخلّي الباقي في حسابي.

الموظفة: حضرتك فاضي بقى وجاي تهزر.

أمير: فيه إيه يا آنسة؟ باقول لك: عاوز اصرف الشيك دا.

الموظفة: لأ، دا حضرتك تروح تصرفه من بنك الحظ.

أمير: إنتي شكلك كدا لسه مستجَدَّة وتحت التمرين وهتتعبيني معاكي.

الموظفة: يا أستاذ اتفضل من هنا قبل ما اجيب لك الأمن.

أمير: أنا تجيبي لي الأمن؟! إنتي مش عارفة بتتكلمي مع مين؟!

الموظفة: لأ، ما اعرفش ومش عاوزة اعرف.

أمير: أنا أمير شامل شلاطة.

الموظفة: هو حضرتك الأستاذ أمير شامل شلاطة؟

أمير: أخيرًا عرفتيني؟ أيوه أنا الأستاذ أمير شامل شلاطة.

الموظفة: لأ، هو انا بصراحة ما اعرفش حضرتك، بس كان فيه عميل عندي من حوالي ساعتين وصرف شيك باتنين مليون جنيه وحضرتك موقَّع على الشيك بنفسك.

أمير: إنتي بتخرَّفي بتقولي إيه يا ولية انتي؟

الموظفة: احترم نفسك يا أستاذ.

أمير: وهو ابو عدنان هيصرف الشيك ليه؟ هو رجع في كلامه والا إيه؟ دا انا حتى لغيت كل العقود مع المنتجين التانيين.

الموظفة: أبو عدنان مين حضرتك؟ اللي صرف الشيك اسمه... اسمه (بحثَت في الأوراق المرصوصة على مكتبها) أيوه هو اسمه أبو سريع أبو الليل جندوفلي.

أمير: لأ، انتي أكيد غلطانة.

الموظفة: لأ، مش غلطانة. رصيد حضرتك قدامي على السيستم تلتمية واحد وسبعين جنيه وأربعين قرش.

أمير: أنا رصيدي تلتمية واحد وسبعين جنيه؟

الموظفة: وأربعين قرش.

أمير: يعني إيه؟

الموظفة: ربنا يعوَّض عليك.

أمير: لا انا هاطلع من هنا ع القسم واوديكوا كلكو في داهية.

الموظفة: بص يا فندم إنت صعبان عليا، بس للأسف القانون لا يحمي المغفَّلين.

خرج أمير من باب البنك، ولكنه تفاجئ بقدوم سماهر وعلى وجهها كدماتٌ زرقاء وملابسها ممزَّقةٌ وشعرها منكوش.

أمير: ما لك يا سماهر؟ إيه اللي حصل لك؟

سماهر: أبو عدنان والراجل اللي معاه ضربوني وسرقوا مني الدهب والموبايل والفلوس، وبعدين ركِّبوني عربية لادا صفرا واغتصبوني.

أمير: أبو عدنان طلع اسمه أبو سريع.

سماهر: إنت كمان ركِّبوك العربية اللادا الصفرا؟

أمير: أنا اتنصب عليا في اتنين مليون جنيه يا سماهر، خدوا كل الفلوس اللي حيلتي.

سماهر: بس انا طلعت أنصح منك وقدرت أغفِّلهم واخد منهم الشيك بتاعي.

أمير: بلّيه واشربي ميته.

سماهر: يعني إيه؟ قصدك ان الشيك مضروب؟

أمير: الله ينوَّر عليكي.

سماهر: فيه ناس خيبتها سبت وحد واحنا خيبتنا ما وردت على حد.

أمير: إنتي هتقعدي تندبي كدا؟

سماهر: أنا راس مالي كله كان في السيغة اللي اتسرقت.

أمير: وانا لغيت عقود عشر أفلام وأكيد المنتجين هيرفعوا عليا قواضي عشان يطالبوني بقيمة المقدَّم، وانا ما بقاش معايا حق الاصطباحة.

سماهر: يا عيني ع الحلو لما تبهدله الأيام!

أمير: بكرة الخبر يتنشر في الصحافة والسوشيال، والناس كلها تعرف ان النجم أمير شامل شلاطة اتنصب عليه وما عرفش يجيب حقه لا بالقانون ولا حتى بدراعه.

سماهر: كدا "الجامهور" هيقول عليك خيخة.

أمير: إنتي ناسية ان أفلامي كلها بتتكلم عن واحد ما عرفش يجيب حقه بالقانون والظروف أجبرته يجيب حقه بدراعه؟ أنا أكيد هافقد مصداقيتي.

سماهر: لأ، كله الا مصنعيتك.

أمير: أنا مستقبلي ضاع يا سماهر.

سماهر: يا جدع هو انت كان ليك مستقبل أصلًا؟! أنا وانت آخرنا ترند يفرقع شوية وبعدين يروح لحاله.

أمير: عارفة يا سماهر؟ إحنا ما فيش قدامنا غير حل واحد.

سماهر: نتجوز؟ صح؟

أمير: لأ، احنا هنغيَّر النشاط.

سماهر: مش فاهمة.

أمير: إحنا هنعمل فيديوهات نقول فيها إن الفن حرام وإننا تبنا توبة نصوحة ومش هنرجع للسكة دي تاني، بس قولي لي الأول عندك طرحة؟

سماهر: عندي.

أمير: وانا عندي دقن. اعملي حسابك من بكرة هنبتدي شغل.

سماهر: لا يا حبيبي، سكتك غير سكتي، إشارتك خضرا وطريقك صحراوي.

أمير: حتى انتي بتتخلّي عني يا سماهر؟! يالا غوري في داهية تاخدك. بكرة ارجع اقف على رجلي من تاني. إنتي نسيتي أنا مين والا إيه؟ (وصاح بأعلى صوته) أنا أمير شامل شلاطة، أنا النجم، أنا "نمبر وان" والباقي كومبارس، أنا وبس.

مدام

عفاف بسيوني العكن

جلسَت مدام عفاف بسيوني العِكِن بمكتبها في مصلحة الشهر العقاري. ألقت نظرةً شاردةً على مروحة السقف العتيقة والتي تُصدِرُ صفيرًا أشد من فرامل قطار الصعيد فوق قضبانه، ثم نظرَت إلى زملائها بالعمل الذين غطَّت جباههم خيوط العرق. لم تكن نظرتها إليهم على سبيل الشفقة أو المواساة، وإنما كانت نظرة استعلاء على هؤلاء الكادحين الذين ينتظرون رواتبهم في أول الشهر وينتظرون الإكراميات أو الشاي من جمهور المواطنين خلال الشهر، أما هي فقد تحسَّنَت ظروفها المعيشية كثيرًا بعد وفاة زوجها؛ حيث باعت الخمسة أفدنة التي ورثَتها هي وابناها عن زوجها المرحوم. وعلى ذلك لم تعد تنتظر الراتب ولا دياولو، بل استمرَّت في عملها طواعيةً ولم تسوِّ معاشها؛ حبًّا في التعسُّف على المواطنين وإيقاف مراكبهم السائرة والعكننة عليهم.

وفجأةً سمعَت مدام عفاف صوت شجارٍ وسبابٍ ولعناتٍ متبادَلةٍ بين أحد المواطنين وأحد الموظَّفين في المصلحة. خرجَت من مكتبها على الفور لتستطلع الأمر بنفسها، فوجدَت المواطن في حالةٍ هستيرية، وتكاد أعصابه تخرج عن السيطرة بسبب برود الموظَّف الجالس على مكتبه وهو يحتسي كوبًا من القهوة الرديئة. أمسكَت مدام عفاف المواطن من ياقة قميصه وكأنها لاعبة جودو تتهيَّأ للكوزوشي، ثم صاحت في وجهه بصوتها المخيف.

عفاف: فيه إيه يا أستاذ حباجة؟ (سألَت الموظَّف الذي أشعل سيجارة "كُلوبترا"، ثم ألقى بعود الثقاب على الأرض).

المواطن: أنا عاوز مدير المخروبة دي.

عفاف: أنا مدام عفاف بسيوني العِكِن مديرة المخروبة، قصدي مديرة المصلحة. إيه العَوَء اللي ع الصبح دا؟

الموظف: الجدع دا عاوز يعمل عقد بيع سيارة بموجب التوكيل دا.

عفاف: وما له؟ مش عيب.

الموظف: الرُّخَص منتهية وصاحب السيارة متوفِّي وانا قلت له: فتَّح مخك معايا، بس نقول إيه بقى؟ نَطْع ما لوش في الطيب نصيب.

المواطن: يعني انا اعمل إيه دلوقتي؟

عفاف: عوضك على الله يا أستاذ.

المواطن: يعني إيه؟

عفاف: يعني أمك في العشَّة والا طارت.

المواطن: طب والفلوس اللي اشتريت بيها العربية؟

عفاف: عليك وعلى الورثة الشرعيين، حل أمورك معاهم.

المواطن: الورثة الشرعيين؟

عفاف: آه، يا إما بقى تجيب المرحوم من تربته وتمضِّيه على عقد بيع مسجَّل.

المواطن: يا أستاذة انتي هتِتنَأوِزي عليا؟

عفاف: لأ، هاقعد جنبك امسح دمعتك من على خدك واغنِّي لك "ظلموه". يالا يا أستاذ ورِّينا عرض كتافك.

المواطن: نعم؟

عفاف: إنت هتتنَّح لي؟ اتِّكل على الله؛ إحنا مش شغَّالين عند ابوك.

المواطن: على فكرة يا أستاذة، حضرتك ست مش محترمة.

عفاف: لأ، لأ، باقول لك إيه؟ إنت تقف عِوِج وتتكلِّم عِدِل.

المواطن: يا مدام عيب كدا، احترمي نفسك.

عفاف: لأ؛ دا انت قليل الأدب وجاي تتسلَّى علينا.

المواطن: أنا هاطلع من هنا على مكتب وزير العدل واقدِّم فيكو شكوى علشان تعرفوا ازاي تتعاملوا مع الناس.

عفاف: إن شا الله تروح لوزير التموين. أنا ما باتهدِّدش.

الموظف (بعد أن غادر المواطن وهو يتمتم بعبارات الوعيد والسباب): روَّقي دمك يا ريسة. أجيب لك لمون ساقع؟

عفاف: خلِّيك في حالك يا أستاذ حباجة.

الموظف: حاضر يا ست الكل يا كيداهم.

وقف شابٌّ يشاهد الخناقة عن قرب، وهو شادي الابن الأصغر لمدام عفاف.

عفاف: عاوز ايه إنت كمان؟ (تمشي باتجاه مكتبها وخلفها شادي).

شادي: إزيك يا ماما؟ كنت باحاول اكلِّمك على الموبايل بس لقيتك مش بتردي، فقلت افوت عليكي في الشغل.

عفاف: قلقت عليا والا خفت ما اروحش معاك المشوار الهباب بتاعك؟

شادي: يا ماما لازم تعرفي ان ريتاج دي بنت كويسة جدًّا وأهلها ناس كويسين.

عفاف: كويسين على نفسهم مش عليا.

شادي: يعني هتيجي معايا والا لأ؟

اكتفت عفاف بالصمت ولم تُجِب على سؤال ابنها حتى تتركه في حيرته. وفي المساء ذهبَت معه لزيارة أنسبائه الجدد، وقد جلسَت بجواره وهي تحملق في سحنتي الأستاذ رمضان السنتريسي والد ريتاج والحاجة زينات المطراوي والدتها.

زينات: يا ألف مرحب ومراحب. نوَّرتينا يا حاجَّة.

عفاف: كفاية عليكم نور اللمبتين النيون اللي حيلتكو.

شادي: ماما قصدها تقول لك: دا نورك يا طنط.

عفاف: أمَّال فين عروستنا اسفوخص عليها؟

رمضان: بتغرف لكو من البسبوسة اللي انا جايبها.

عفاف: طب كنت تكلِّف خاطرك وتجيب حتتين جاتوه يا راجل يا إيحة.

ريتاج (دخلَت وهي تحمل صينيةً عليها أكواب الشربات): إزيك يا طنط؟

شادي: دي ريتاج يا ماما.

عفاف: آه هي دي؟ دا انا افتكرتها بنت البواب.

زينات: خمسة وخميسة في عين الأعادي. زي فلقة القمر.

عفاف: جاتها نيلة شبه ابوها (بصوتٍ خفيض).

شادي: إزيك يا ريتاج؟

ريتاج: إزيك يا شادي؟

عفاف: تعالي هنا يا حبيبتي، اقعدي جنبي والا على رجليكي نقش الحنَّا؟

ريتاج: حاضر يا طنط.

وجلسَت بجوار عفاف ويا ليتها ما جلسَت؛ إذ انقضَّت عفاف فوق ريتاج كأنها ضابط شرطةٍ يفتِّش متهمًا عتيد الإجرام، وأمسكَت وجه ريتاج وراحت تشدُّ شعرها ثم أجبرَتها على فتح فمها لتشمَّ رائحته وتتفحَّص أسنانها ثم رفعَت ذراعيها وراحت تتشمَّم رائحة إبطيها.

شادي: ماما انتي بتعملي إيه؟

عفاف: افتحي بقك يا بت، وطلِّعي لسانك بره.

زينات: استهدي بالله يا مدام.

عفاف: ما حدش يتدخَّل. أنا عارفة الأشكال دي كويس.

زينات: سيبيها. عاوزة منها إيه؟

عفاف: بطاقتك يا بت؟ معكيش بطاقة؟ إنتي سوابق يا بت؟ انطقي (وظلَّت تضغط بأصابعها على فم ريتاج التي لم تستطع أن تتكلَّم وفمها مفتوحٌ على مصراعيه).

عفاف: لا مؤاخذة يا جماعة ما فيش حاجة؛ كنت باعاين البضاعة (وتركَت ريتاج ثم جلسَت مكانها).

زينات: بضاعة؟

عفاف: لازم الواحد لما يشتري عربية نص عمر يرفعها الأول.

رمضان: ترفعي إيه حضرتك؟ وبعدين نص عمر إيه؟ إحنا بنتنا على الزيرو.

عفاف: مش يمكن تطلع كسر زيرو ومش بعيد تكون مشيِّسة أو راشَّة دواخل؟

رمضان: اتطمِّني يا هانم؛ إحنا بنتنا زي الفل.

زينات: ويا ترى عاينتي خلاص والا فيه حاجة تانية؟

عفاف: كدا فاضل ناخد منها عينة دم وبول وبراز.

ريتاج: اللي هو إيه دا؟

عفاف: إيه يا حلوة عمرك ما شخِّيتي؟!

رمضان: شوف يا شادي يا ابني، إنت لما جيت لي الأسبوع اللي فات تطلب إيد ريتاج بنتي قلت لك كلمتين ورد غطاهم، فاكرهم طبعًا؟

شادي: لأ.

رمضان: أول هام قلت لك: لازم الست والدتك تشرَّفنا، تاني هام: قلت لك إحنا بنشتري راجل.

عفاف: تشتروه دا إيه؟ أنا ابني باشمهندس قد الدنيا.

رمضان: أنا قصدي يعني إننا مش هنتكِّ عليه في طلباتنا.

عفاف: لأ، "ستوب" هنا يا "ادلعدي"؛ الحاجات دي تتكلِّم فيها معايا أنا. إحنا هنخيب والا إيه؟

رمضان: وعلشان كدا أنا قلت لشادي إن حضرتك لازم تبقي موجودة في الاتفاقات والذي منه.

عفاف: وما لك كدا بتتكلِّم كإنك مالي إيدك مننا؟ مش جايز الكلام ما يعجبناش ونقول لك: شوف حالك انت والسنيورة بنتك اللي شبه أنثى العنكبوت؟

زينات: عنكبوت؟! طب إيه رأيك بقى "ريطاج" بنتي "فِشيتريان"؟

عفاف: يعني مش "فِرشن"؟ يالا بينا يا ابني نبعد عن النجاسة دي.

شادي: ماما بتهزر يا طنط، بس هي هزارها تقيل شوية. مش كدا يا ماما؟

عفاف: لا باهزر ولا باتنيِّل، جاتك وكسة.

شادي: شوف يا عمي، أنا شقتي ١٥٠ متر متشطبة سوبر لوكس.

عفاف: شقة إيه اللي عندك يا واد يا شادي؟ لا هو انت جبت شقة من ورايا والا بتضحك على الراجل إكمن شكله عبيط؟

شادي: أنا قصدي على شقة المعادي.

عفاف: ياسر اخوك ليه نصها، والا انت ناوي تنصب على أخوك؟

شادي: ما انا اتفقت مع ياسر اني هاتنازل له عن نصيبي في شقة الشيخ زايد وهو هيتنازل لي عن نصيبه عن شقة المعادي.

عفاف: آه، دا انتو مطبَّخينها سوا من ورا ضهري، بس الظاهر إنك نسيت ان شقة المعادي متأجَّرة.

شادي: عقد الإيجار هيخلص أول الشهر.

عفاف: الناس كلِّموني وعاوزين يمدُّوا الإيجار ست سنين وأنا وافقت.

زينات: إيه؟

عفاف: أيوه وافقت، وادِّيتهم كلمة خلاص والا عاوزني أرجع في كلامي؟

رمضان: تحبِّي يا هانم أتكلِّم انا مع المستأجرين واحاول اسوِّي معاهم الموضوع بصفة ودية؟

عفاف: وهو سيادتك بتتحشر بيني وبين ابني بصفتك إيه؟

رمضان: "سوري" يا هانم. خلاص يا ولاد، إنتو ممكن تشوفوا شقة إيجار جديد بصفة مؤقَّتة.

عفاف: إيجار جديد إيه وزفت إيه يا راجل يا هُزؤ؟ شادي لما يلاقي بنت الحلال ويبقى يتنيِّل يتجوز مش هيسيبني وهيفضل عايش معايا في شقتي في مصر الجديدة.

رمضان: بس يا هانم...

عفاف: دا اللي عندي، ودا طبعًا في حالة ان الجوازة المهبِّبة دي تمِّت لا قدَّر الله.

شادي: يا ماما هو مش كفاية ان ياسر اخويا ومراته وولاده قاعدين معاكي؟

رمضان: سيبيهم يا هانم يعيشوا حياتهم، بلاش تقفي في طريق سعادتهم.

عفاف: وانت مال أمك يا ابو قردان انت؟!

زينات: مش ممكن.

عفاف: وبعدين انتو مكبَّرين الحكاية كدا ليه؟ هما ست سنين، وبعد كدا يبقى يحلها ألف حلال. ومين عالم مش جايز اموت قبل الست سنين دول؟

زينات: بعد الشر عليكي. إن شا الله عدوِّينك يا حاجَّة.

عفاف: إن شا الله انتي وبنتك يا حبيبتي.

رمضان: طيب بلاها الشقة خالص، عزينَّها موجودة.

عفاف: إيه عزينَّها دي؟ هو حضرتك متربِّي في زريبة؟

زينات: هي حصَّلت؟

رمضان: باقول لك إيه يا ست انتي، إنتي قاعدة تغلطي فينا وانا ساكت لك من الصبح.

عفاف: والله لو مش عاجبك أنا ممكن آخد ابني ونمشي حالًا، وعلى رأي المثل: "امشي من بيت الحمار وسيبه ينهَّق لوحده".

زينات: كدا كتير.

عفاف: هو دا اللي ربنا قدَّرك عليه؟ إنتو صحيح عالم مُهزَّأة.

رمضان: بالنسبة للشبكة دي بقى هدية من العريس لعروسته، ما لناش دخل فيها.

زينات: آه، بس أهم حاجة انها ما تبقاش أقل من شبكة البت ريهام بنت خالتها، تلاتة جرام دهب ودبدوب قطيفة.

رمضان: أما بالنسبة للمؤخَّر فدا هيبقى ١٥٠.

عفاف: ١٥٠ جنيه ليه؟ هو هيطلَّق الملكة نازلي.

رمضان: ربنا ما يجيب طلاق يا هانم، بس انا قصدي ١٥٠ ألف.

عفاف: ١٥٠ ألف عفريت لما يركبوك انت وبنتك والحربوقة مراتك. آخركم ١٥ جنيه تاخدهم على الجزمة.

رمضان: آخر حاجة – علشان يبقى قفِّلنا على كل المواضيع – الباشمهندس شادي يمضي لنا على قايمة المنقولات.

عفاف: دا عند امك.

رمضان: مش أسلوب تفاهم دا.

عفاف: هو انا أسلوبي كدا إن كان عاجبك، واقول لك حاجة: ما عندناش ولاد للجواز خلاص.

رمضان: يعني إيه؟ طب والبسبوسة اللي انا جايبها؟

عفاف: حطها في .... في التلاجة. يالا بينا من هنا يا شادي والا تحب تقعد تتفرج عليهم وهما قاعدين يبيعوا ويشتروا فينا؟

شادي: بس يا ماما...

عفاف: خلاص خلّيك انت مع شوية الغجر اللي غلطوا في أمك وقاعدين يهزّأوا فيها، أمك اللي خلّفتك وعلّمتك وكبَّرتك لحد ما بقيت شحط، أمك اللي شالتك وانت صغير وضحِّت بكل حاجة علشان خاطرك، وفي الآخر جاي في صفهم ضدي وعاوز تعمل لهم من خدي مداس. هي الدنيا جرى فيها إيه؟ فين العدل يا ناس؟ فين العدل يا ناس؟ فين العدل يا ناس؟ (نزلت عفاف على ركبتها اليمنى ثم رفعَت يديها لأعلى وكأنها تطلب الرحمة من السماء. ودمعَت أعين الجميع الذين كادوا يصفِّقون من شدة إعجابهم بالمشهد المسرحيّ الذي قدَّمَته أمامهم عفاف).

دخل شادي وأمه من باب الشقة، فوجدا ياسر جالسًا على كرسيٍّ وهو يرتدي فانلةً داخليةً ويدخِّن سيجارة. أطفأ ياسر السيجارة في الطقطوقة الكريستال، ثم رشَّ معطِّر جوٍّ برائحة قطرات التوكسافين. وكانت الشقة مقلوبةً رأسًا على عقب؛ إذ كانت كراسي السفرة والسجَّاد موضوعين فوق السفرة تمهيدًا لمسح الأرضية السيراميك.

ياسر: أهلًا يا عريس.

شادي: سبني في حالي يا ياسر؛ أنا تعبان وعاوز انام (وتوجَّه نحو غرفته).

عفاف (صارخةً في وجهه): إستنَّى عندك، رايح فين؟

شادي: داخل أوضتي.

عفاف: إنت مش شايف ان اللي ما تِتِسمَّى مرات أخوك لسه ما خلَّصتش مسح، عاوز تليَّط لنا البيت؟

شادي: حاضر (وجلس على كرسيٍّ من كراسي السفرة بجوار أخيه ياسر).

ياسر: هو فيه إيه؟ أهل العروسة رفضوك؟

شادي: يا ريتهم رفضوني؛ ماما الله يبارك لها بوَّظت الجوازة.

عفاف: الحق عليا اني أنقذتك من العيلة دي، وبعدين البت تحسها كدا سهنَّة.

شادي: ماما يا سيدي عاوزاني لما اتجوز أجيب مراتي تعيش معانا هنا في الشقة.

ياسر: طيب ما تيجوا، دا حتى... إنت قلت إيه؟

شادي: ماما عاوزانا نعيش كلنا هنا في الشقة دي.

ياسر: طب انا ومراتي والعيال هنسكن فين؟ في الحمام؟!

عفاف: الشقة فيها خمس أوض بمنافعهم.

شادي: وليه الزنقة دي؟

عفاف: ليه؟ الحق عليا اني عاوزة اعيش اليومين اللي فاضلين لي بين ولادي وأحفادي. خلاص عيشوا في الحتة اللي تعجبكم، وابقوا ارموني في دار مسنين، بس ما تنسوش ترفعوا عليا قضية حجر، والا ارموني بالرصاص زي خيل الحكومة، وعلى رأي المثل: "أبنائي الأعزاء شكرًا". أنا متشكرة قوي قوي يا ولادي، يا... (ثم تحوَّل صوتها فجأةً من المسكنة إلى الزعيق) يا نهار اسود، إيه دا؟ فيه ريحة شياط. هي الغندورة مراتك نسيت صينية الفراخ لحد ما اتحرقت في الفرن؟

ياسر: أصلها خدت الولاد ونزلت تجيب لهم كشاكيل من المكتبة.

عفاف: البت دي لو ما شافتش شغلها كويس، طلَّقها وشوف لك واحدة تانية تعرف تخدمني كويس.

ياسر: ما لوش لازمة الكلام دا يا ماما.

عفاف: ما هو انا ما عنديش استعداد اموت ناقصة عمر بسببك انت ومراتك اللي مش لاقية راجل يشكمها.

ياسر: وطِّي صوتك يا ماما لا تكون طالعة على السلم وتسمعك.

عفاف: خايف منها قوي؟ طب إيه رأيك اني هاعلِّي صوتي، ولو مش عاجبها تغور في ستين داهية. هي فين بنت ستين كلب دي؟

شادي: هي نزلت من إمتى؟

ياسر: من حوالي ساعتين.

شادي: ساعتين ولسه ما جاتش لحد دلوقتي؟ لا يكون جرى لها حاجة.

ياسر: تصدَّق؟ أنا كدا اتوغوشت عليها. أنا هالبس وانزل أشوفها فين (وذهب إلى غرفة نومه كي يرتدي ملابسه ثم خرج من البيت).

عفاف: داهية تاخدها ولا تِرجِعها بنت الصرمة.

شادي: مش كدا يا ماما. ما تنسيش برضه ان هدى تبقى مرات ياسر مش بتشتغل عندنا.

عفاف: نقَّطنا بسكاتك انت راخر. وانت من إمتى بتفهم؟

ياسر (جاء مسرعًا): هدى طفشت يا ماما، خدت الولاد وطفشت.

عفاف: يا ألف بركة. من بكرة هاجوِّزك ست ستها.

ياسر: دوَّرت عليها، ما لهاش أثر، ولما رجعت خدت بالي انها سايبة لي الجواب دا على الكومودينو.

عفاف: وزِّيني كدا كاتبة لنا إيه بنت الرفضي (وأخذَت الورقة من يد ياسر الذي جلس على الكرسيّ مصدومًا ومستسلمًا، وقرأَت الورقة ثم ألقَتها على الأرض). بتتشرَّط علينا الهانم، قال إيه عاوزة تاخدك مني وتعيشوا في شقة لوحدكو يا إما تطلَّقها. لا، دي تغور في ستين داهية. إنت تطلَّقها غيابي عند المأذون وإياك ثم إياك تنخِّ وترجَّعها تاني لعصمتك حتى لو انا مت.

ياسر: بعد الشر عليكي يا ماما.

شادي: طب ما نصلح بينهم يا ماما ونشوف حل تاني غير الطلاق.

عفاف (زمَّت شفتيها وطقَّت شرارةٌ من عينيها): قلت إيه؟

شادي: ولا حاجة.

عفاف: اعمل حسابك يا شادي إنك هتيجي معانا بكرة عند المأذون علشان تشهد على طلاق اخوك.

شادي: حاضر.

جلسَت عفاف وأمامها جلس شادي وياسر في مكتب المأذون. ارتشف المأذون شفطةً من الشاي من الماج الخاص به بصوتٍ واضحٍ كأنه يتلذَّذ بسخونة الشاي في فمه. نظر إلى عفاف ثم نظر إلى ياسر كأنه يشفق على حاله.

المأذون: تربَّيْت شوية يا أستاذ ياسر؛ إن أبغض الحلال عند الله الطلاق.

عفاف: يا ريت توفَّر نصايحك دي لحد تاني. إحنا فكَّرنا كويس ومش هنرجع في قرارنا.

المأذون: طيب انت مش فاكر لزوجتك حاجة كويسة يمكن تخلّيك ترجع في قرارك؟

عفاف: لأ، مش فاكرين لها حاجة يا اسطى. ولو سمحت بقى شوف شغلك من غير رغي علشان ورانا مواعيد تانية أهم .

المأذون: طب يا ست الكل ما تسيبيني أتكلّم مع الأستاذ ياسر يمكن اقدر اقنعه.

عفاف: وانت تكلّمه ليه أصلًا؟ إنت ما لك.

المأذون: لا حول ولا قوة إلا بالله.

عفاف: إنت هتحسبن علينا كمان؟!

المأذون: يا مدام هو انا فتحت بُقي والا اتكلّمت؟

عفاف (للمأذون بصوتٍ منخفضٍ): أصل مراته بعيد عنك عندها سعار "الأنارب"؛ أصلها ما اتطعَّمتش وهي صغيرة. طول النهار تجري ورانا في الشقة وعاوزة تعضنا.

المأذون: يا لطيف.

عفاف: كله بقى كوم والشم كوم تاني.

المأذون: بتشم مخدرات؟

عفاف: أوجمونتين ٢٥٠.

المأذون: يا حفيظ.

عفاف: مش بس كدا، دي انضمت للجماعة دول بتوع عبدة الشيطان.

المأذون: عارفهم اللي هما بيلبسوا اسود في اسود وبيسمعوا ميتاليكا.

عفاف: هي بقى بتسمع حمادة هلال.

المأذون: يا سيدي.

سمع المأذون جلبةً في الخارج وصوت سيدةٍ تتشاجر مع ذباب وجهها. انتفض من شدة الخوف واختبأ تحت المكتب. كان صوت السيدة مخيفًا بحقٍّ يكاد مَن يسمعه أن يدعوَ الله أن تنشقَّ الأرض وتبلعه حتى لا يصيبه مكروهٌ من صاحبة هذا الصوت.

المأذون: يا نهار إسود؛ دي سامية.

عفاف: سامية مين؟ مراتك؟

المأذون: دي سامية قلقاس فتوة الدرب الأحمر والحسينية.

شادي: طب لعلمك يا أستاذ، وليد بوجي فتوة المعادي يبقى صاحبي، كان معايا في كلاس الزومبا.

سامية: لا مؤاخذة يا شيخو اني جيت لك من غير إحم ولا دستور.

نظرَت عفاف وابناها إلى سامية نظرة "ازبهلال" وترقُّب؛ حيث كانت طويلةً وعريضةً وممتلئة القوام كأنها ضلفة باب. وكانت سامية تحمل سافوريا في يدها اليمنى وتسحل رجلًا سائحًا في دمه بيدها اليسرى. وقف المأذون وذهب تجاه المعلِّمة كي يرحب بها وأجلسها على الكنبة المصنوعة من الجلد الأسود المهترئ والتي توجد أمام البلكونة الملحَقة بغرفة المكتب.

المأذون: إنتي تنوَّري أي وقت يا معلِّمة سامية.

سامية: شيخووو ممكن اسألك سؤال؟

المأذون: في الدين؟

سامية: أمَّال في الحب؟

المأذون: اتفضَّلي يا معلِّمة سامية اسألي براحتك.

سامية: يرضيك يا شيخو ان جوزي الأسطى حنفي شطَّافة يستغل اني رحت اصيِّف في سجن القناطر ويغفِّلني؟ قال إيه قاعد بيخونِّي مع البت سنية أم عيون مستخبية؟!

المأذون: إخص عليه، الله يكسفه. راجل دني مش مقدَّر الجوهرة اللي معاه.

سامية: الدم غلي في عروقي، كلمة مني على كلمة منه قلبت عاركة، وهوب حشيت مصارينه برقبة إزازة، فيها حاجة دي؟

المأذون: إيه؟ هو زعل؟!

سامية: رمى عليا يمين طلاق، طلَّقني بالتلاتة.

المأذون: لأ، ما لوش حق.

سامية: بس هو بلا قافية حس بغلطته وطلب السماح وحلف لي على المصحف انه هيقتل البت سنية.

المأذون: آه.

سامية: ولاد الحلال قالوا لنا ان دي الطلقة السابعة على التوازي، وكدا كدا "لازمن" محلل علشان ارجع على ذمته تاني والا ابقى عايشة معاه في الحرام.

المأذون: أستغفر الله العظيم من كل ذنبٍ عظيم.

سامية: خلاصة القوالة، أنا جبت الواد حماصة واتجوزته عرفي علشان يبقى محلل.

المأذون: حماصة مين؟

سامية: صاحب الجتة النتنة دي.

المأذون: بس دا سايح في دمه ولازم يروح مستشفى.

سامية: ما تكبَّرش الموضوع يا شيخو، غرزتين ع الناشف وشوية بن يمني وهيبقى زي الفل.

المأذون: بس دا حالته صعبة قوي. هو القطر داس عليه؟

سامية: أنا قلت اعلِّم عليه بس؛ أصلي عرفت انه ماشي مع البت سنية أم عيون مستخبية.

المأذون: برضه؟! عمومًا يا معلِّمة سامية، أنا هاقول لك كلمتين علشان ابقى خلَّصت ذمتي قدام ربنا. المحلل حرام وتحايل على الشرع بإجماع أهل العلم.

سامية: إنت بتقول إيه؟

المأذون: مش انا اللي باقول والله، دول أهل العلم مش انا خالص.

سامية: يعني إيه الكلام دا؟

المأذون: يعني لا بد إنه يكون زواجًا شرعيًّا مش زواج كدا وكدا، وفي حالة استحالة العشرة بينكم وحصل طلاق لأي سبب من الأسباب ساعتها بس تقدري تتزوجي أي حد تاني بعد إتمام أشهر العدة سواءً كان زوجك الجديد دا هو المعلِّم شطَّافة أو غيره.

سامية: خلاص اكتب عليا أنا والواد حماصة.

المأذون: حماصة شكله مات إكلينيكيًّا وغير جائز شرعًا أن أعقد قرانك عليه وهو مش في وعيه.

سامية: طب وإيه العمل دلوقتي؟ (ثم لاحظَت وجود عفاف وابنيها جالسين على بعد خطواتٍ قليلةٍ منها، نظرَت إليهم ثم أشارت نحو شادي) مين الواد الحليوة المز دا؟ تعالى ياض.

شادي: أنا؟

سامية: أمَّال امي؟

شادي: حضرتك عاوزة مني إيه؟

سامية: سؤال ورد غطاه: تعرف البت سنية أم عيون مستخبية؟ (وأمسكَت بياقة قميص شادي وأخذَت في جذبه ودفعه للأعلى وللأسفل).

شادي: مين؟

سامية: تعرفها؟

شادي: لأ.

سامية: هو دا يا شيخو، اتفضَّل شوف شغلك.

عفاف: إنتي عاوزة إيه من ابني يا ست يا مخبولة انتي؟

سامية: مين دي ياض؟ (أشارَت إلى عفاف)

شادي: الست دي أمي.

سامية: باقول لك إيه يا "تانت"، ما تقعدي في حتة ناشفة وتسمَّعينا دعاء الركوب.

عفاف: إنتي فاكرة اني هاخاف منك؟ لأ دا انا هاودِّيكي في ستين داهية.

سامية (وأمسكَت سنجة في يدها ورفعَتها في وجه عفاف): وعزة جلال الله لو ما اتبطيتي لاعمل من وشك خريطة "الكاهرة".

شادي: خلاص يا ماما، بلاش تستفزِّيها علشان دي ممكن تأذينا.

المأذون: عين العقل يا أستاذ.

شادي: ما تقلقيش يا ماما؛ الموضوع كله هيبقى على الورق بس.

المأذون: يعني إيه على الورق بس؟ إحنا هنهزر والا هنهزر؟ لا بد أن تتحقق كل شروط الزيجة وإلا يكون الزواج باطل.

شادي: قصدك إني لازم أ....

المأذون: أينعم.

شادي: ودي أدخل عليها إزاي؟ دي محتاجة حفار باكت.

المأذون: نحتسبك مع الشهداء بإذن الله.

شادي: بس انا ما ينفعش اروح معاها؛ دي ممكن تخربشني في وشي.

سامية: ومين قال لك انك هتروح معايا؟ معقول يا جدعان اخش الحارة وف إيدي راجل غريب؟ طب اودِّي وشي فين من عرابي ومنَّص والكحكي وسباعي ومرزوق ومرعي وسفينة وضرغام؟

شادي: مين دول حضرتك؟

سامية: صبياني.

شادي: أنا ملاحظ ان حضرتك عاملة لهم اعتبار أكتر من جوزك الأستاذ شطَّافة.

سامية: خلّي البت سنيَّة تنفعه.

شادي: سنيَّة أم عيون مستخبية؟

سامية: إنت تعرفها؟

شادي: والمصحف ما اعرفها.

سامية: عندك "موكنة"؟

شادي: مين؟

سامية: عندك "موكنة"؟

شادي: قصدك موتوسيكل؟

سامية: ليه؟ إنت بتبات في التروسيكل؟!

شادي: لأ، انا بابات في شقتنا في مصر الجديدة مع ماما وياسر اخويا.

سامية: يا حبيب ماما، كدا يبقى المحروس اخوك هياخد الست الوالدة ويشوفوا لهم مطرح تاني.

عفاف: إنتي عاوزة تطرديني من شقتي يا ست انتي؟! دا بعدك.

سامية: خلّي عندك نظر يا "تانت"؛ أنا عروسة وعاوزة اخد راحتي. ليكي شوق في حاجة؟

ياسر: اللي بيحصل دا ذنب هدى.

عفاف: مش وقتك خالص يا ياسر.

ياسر: أنا مش هاطلَّقها يا ماما.

عفاف: بلا هدى بلا زفت. خلّينا نشوف هنعمل إيه في المصيبة دي اللي لا كانت على البال ولا على الخاطر.

سامية (كسرَت زجاجة كوكا كولا وأمسكَت برقبة الزجاجة بيدها ولوَّحَت بها أمام وجه عفاف): أنا هاخد عريسي الواد الحليوة دا ومروَّحين. لو شفت خلقتك الكريمة أو عقلك وزك تبلَّغي الحكومة هيبقى آخر يوم في عمرك، استبينا؟

عفاف: طب ما تروح شقتك في المعادي.

شادي: ما هي متأجرة، متأجرة ست سنين.

عفاف: اسكت، مش المستأجرين سابوها من شهرين؟

شادي: بجد؟ يالا بينا على المعادي يا أبلة سامية.

سامية: سمَّعيني أحلى زغروطة اسكندراني يا "تانت" والا تحبِّي ازعل منك؟

وعلى الفور رقعَت عفاف زغرودةً متقطِّعةً وهي مرغمة. كانت زغرودتها تشبه صوت آلةٍ موسيقيةٍ قديمةٍ لم تُستخدم منذ سنوات، تصدر نغماتٍ غير متناسقة، ثم رفعَت حاجبيها وهي توجِّه نظرةً خفيةً إلى سامية التي أخذَت منها ابنها المغلوب على أمره. وعندما خرجَت من مكتب المأذون لطمَت على خديها وأطلقَت صرخةً تنفِّس بها عن نفسها، صرخةً مكتومةً تجمع بين القهر والندم في آنٍ واحد.

عفاف: يا لهوي، يا خرابي!

المتر

باسم كباكا البتنجاني

كانت الحارة ضيقةً ومتعرِّجة، تتخلَّلها الأزقة المتشابكة كعروق جسدٍ هزيل. المباني قديمةٌ متصدِّعة، تقف بصعوبةٍ وكأنها تحاول الصمود أمام الزمن الذي نهشها بشدة. الجدران ملوَّنةٌ بأطياف الغبار وطبقاتٍ من الطلاء المتآكل، تحمل بين طيَّاتها قصصًا عتيقةً وحكايات ناسٍ رحلوا أو ما زالوا يتشبثون بالحياة هنا. نزلَت سيدةٌ "كيرڤي" مدملكة من سيارة سوزوكي تمناية بعدما أعطت الأجرة لسائقها عند ناصية الحارة. وكانت السيدة بصحبة رجلٍ يصغرها بعشرة أعوامٍ على أقل تقدير، ويبدو عليه التردد في خطواته. ولقد شارفَت هذه السيدة على الأربعين من عمرها، وكانت ترتدي عباءةً سوداء وطرحةً سوداء لا تتناغم مع طبقات الماكياج التي غطَّت وجهها.

كانت الأصوات تتردَّد بين البيوت، صوت بائعٍ ينادي على بضاعته البسيطة، وضحكات أطفالٍ يلعبون بكرةٍ مهترئة، وأحاديث نساءٍ يجلسن على عتبات البيوت ذات الأرضية المرقَّعة بالحجارة المتناثرة والأتربة. وقفَت السيدة بالقرب من أحد الحوانيت الصغيرة التي تصطفُّ على جوانب الحارة؛ حيث اجتمع عددٌ من الرجال أمام ورشهم البدائية يتبادلون الأحاديث والضحكات. اقترب أحدهم من السيدة، وأخذ يحملق في وجهها ويشتمُّ رائحتها الفوَّاحة كأنه كلبٌ بوليسيٌّ من فصيلة الجيرمن أو البولدوج.

الرجل: إيه دا؟ أنا مش مصدَّق عينيا؟ الأستاذة شريفة طراوة الرقَّاصة "المرموكة"؟

شريفة: إنت عرفتني؟

الرجل: طبعًا يا فنانة؛ اللي ما يعرفك يجهلك؛ دا انتي ثروة "گومية".

شريفة: شكرًا يا برنس.

الرجل: طب صورة يا فنانة علشان اورِّيها للإكس بتاعتي (ثم ملتفتًا إلى الشاب الواقف مع شريفة). خد يا كابتن، صوَّرني مع أبلتك.

شريفة: معلش يا بووني يا حبيبي صوَّرني معاه علشان نخلص.

بوني: أوكيه (وأخذ موبايل الرجل وصوَّره مع شريفة).

شريفة (للرجل): تعرف فين قهوة "شهود الزور"؟

الرجل: تاني حارة على إيدك الشمال.

شريفة: تُشكَر يا ذوق.

أمسكَت شريفة بيد الشاب الذي يصحبها كأنها ترشد طفلًا صغيرًا ضلَّ طريقه وسط الزحام، ثم وضعَت يدها على وجهه برقة؛ كأنها تحاول أن تمحو عنه آثار القلق الذي أثقل قلبه.

شريفة: وشك اصفر ليه يا بووني؟

بوني: لأ؛ ما فيش حاجة.

شريفة: أمَّال ما لك كدا مش على بعضك؟ تكونشي عاوز ترجع في كلامك؟

بوني: لا يا حبيبتي، أنا لا يمكن ارجع في كلامي أبدًا، وزي ما قلت لك احنا لازم نتجوز النهارده قبل بكرة علشان نحط حد لكلام الناس.

شريفة: آه كله الا سمعتي، المهم جبت لي الشبكة اللي اتفقنا عليها؟ الإسورة الدهب ام فص ألماظ ملعلط والآيفون "تيوينتي تو"؟

بوني: طبعًا يا روحي، بس أنا هاديهم لك بعدين؛ أصل المنطقة هنا شكلها لبش.

شريفة: ديِّتها عشر دقايق والمحامي ييجي ويخلَّص لنا الورق.

بوني: ما كنا نروح لأي مأذون قريب، أحسن من البهدلة دي.

شريفة: لا يا اخويا، أنا شغالة عرفي بس، ما ليش تقل على الشرعي خالص.

وبخطواتٍ واثقةٍ قادت شريفة رفيقها الشاب بوني وأجلسَته على أحد الكراسي بزاوية مقهى "شهود الزور". كان الضجيج يعلو من حينٍ لآخَر؛ إذ تتعالى الصيحات من الطاولات المجاورة؛ حيث يتنافس الرجال في لعب الدومينو، تحرِّكهم الحماسة والنشوة في لحظات الانتصار. وفي جانبٍ آخر من المقهى كان هناك جهاز تلفازٍ قديمٌ يعرض شريط فيديو عتيقًا لمباراة مصارعةٍ حرةٍ بصوت الكابتن ممدوح فرج. جلس الشاب بوني متأمِّلًا المشهد، متأثِّرًا بغرابة الحياة في محيط المقهى، بينما كانت شريفة تجلس بجانبه، تنظر إلى زوايا المقهى القذر، ثم بسبسَت للقهوجي حتى يأتي.

شريفة: باقول لك يا رجولة، هو أستاذ باسم المحامي ألاقيه فين؟

القهوجي: باسم مين؟

شريفة: المتر باسم كباكا البتنجاني. هو قال لي اجي له هنا.

القهوجي: قصدك باسم اصطباحة؟ زمانه جاي.

شريفة: طب انا هاقعد استناه هنا. هات لي حلبة حليب.

القهوجي: والأستاذ اللي معاكي دا اجيب له إيه؟ "نكساويك"؟

شريفة: لأ، هات له إزازة ميه معدنية يا خفيف.

نزل الأستاذ باسم كباكا البتنجاني من التوكتوك بخطواتٍ واثقةٍ كأنه الملك فاروق الأول في زمانه قبل أن يهبط من درج الذكريات. كان شعره الأبيض متوشِّحًا بخصلٍ سوداء تروي حكايات أيامٍ مضت وشبابٍ لم يغب تمامًا. وأضفى شاربه الدقيق الذي يتبع لون شعره ملامح الشخص القوَّاد على وجهه. ارتدى بذلةً خضراء تحمل في أليافها الكلح من أثر الزمن، وقميصًا أبيض تجعَّدَت أطرافه واصفرَّت ياقته. أما كرافتته الصفراء فقد كانت فاقعة اللون؛ وكأنها تحدٍّ جريءٌ للزمكان بأبعاده الأربعة.

السائق: ألَّا ما فيش مرة تستفتحني يا سي الأفوكاتو؟

باسم (وقد أخرج حفنةً من اللب من جيبه فأعطاها له): امسك دول يا اسطى عنبة، إن شا الله ما حد حوِّش.

السائق: لب؟! وإيه اللي معاه دا؟ نفتالين بلي؟

باسم: سيب اللب ومصمص في النفتالين؛ أصل اللب زنَّخ من زمان. (ثم دخل إلى المقهى مناديًا القهوجي) واد يا ليشع، إنت يا واد ليشع.

القهوجي: عاوز ايه؟

باسم: وما لك مركِّب لي وش خشب على الصبح؟

القهوجي: أمَّا تدفع الحساب اللي عليك.

باسم: عمومًا أنا مش زعلان منك يا ليشع؛ حصل خير. الناس لبعضيها والمسامح سميح. هات لي شاي في الخمسينة أوام.

القهوجي: ولا خمسينة ولا تلاتينة؛ ادفع اللي عليك الأول.

باسم: إنت قلت تلاتينة؟ (وفطس على روحه من الضحك).

القهوجي: عجبتك؟

باسم: يا راجل دا انا قطعت الخلف من كتر الضحك. إنت جواك كوميديان.

القهوجي: بجد؟

باسم: طبعًا. شوف يا ليشع، أنا هاكلّم لك أشرف عبد الباقي يشغَّلك معاه في مسرح مصر.

القهوجي: أستاذ أشرف عبد الباري؟ إنت تعرفه؟

باسم: إلا اعرفه، أشرف عبد الباري دا حبيبي. طب لعلمك بقى أنا اللي ماسك له القضية بتاعته اللي رافعها ضد سمير غانم.

القهوجي: هو رافع قضية على الأستاذ سمير غانم الله يرحمه؟ ليه؟

باسم: وبعدين يا ليشع؟ دي أسرار موكّلين؛ ما اقدرش اقول لك عليها.

القهوجي: حيث كدا يبقى مشاريبك عندي النهارده، بس ما تنساش تكلّم الأستاذ أشرف.

باسم: حيث كدا يبقى تجيب لي شاي بحليب منه فيه.

القهوجي: تحت أمرك يا أستاذ باسم يا مكتشف المواهب "الساعدة".

باسم: حبيبي يا ليشع.

القهوجي: صحيح يا أستاذ باسم، كان فيه ناس بيسألوا عليك.

باسم: ناس مين؟

القهوجي: الحرمة اللي قاعدة هناك دي والبقف اللي معاها.

باسم: دي لازم "البيلي ضانصر" شريفة طراوة.

القهوجي: مين؟

باسم: دي عندها ملهى ليلي كبير في شرق العوينات.

القهوجي: يا راجل؟

باسم: كلّمتني امبارح علشان اضرب لها ورقتين عرفي.

القهوجي: طب مش كنت تقول يا أستاذ علشان نقوم بالواجب معاها؟

باسم: اتلهي انت (واتَّجه صوب ترابيزة زبائنه مرحِّبًا). أهلًا أهلًا أهلًا يا أستاذة. أنا باعتذر جدًّا على التأخير؛ كان عندي قضية مهمة جدًّا في محكمة درب البرابرة.

شريفة: ولا يهمك يا متر؛ إحنا ما بقالناش يا ما في الخرارة دي.

باسم (متناولًا سيجارةً من علبة السجائر الخاصة بالراقصة شريفة وقد أشعلها لنفسه دون استئذان): خير يا أستاذة؟ اؤمريني وانا انفِّذ في "مينيت".

شريفة: "زاما" قلت لك في "التلافون" امبارح، عاوزين ورقتين عرفي، ليا أنا وبووني (وأشارت تجاه الشاب الصامت).

باسم: يا زين ما اخترت يا أستاذ بوني، بالك عروستك دي زبونتي؛ تالت ورقة عرفي اضربها لها الشهر دا.

شريفة: طلباتك يا أستاذ الأساتيذ.

باسم: ما انتي عارفة "السيستيم" يا فنانة، أنا يا دوب هاحتاج صورة بطاقتك وبطاقة الأستاذ بوني ومعاهم خمسميت بلبل.

شريفة: خلصانة.

باسم: بالرفاء والبنين يا حبايب.

شريفة (ملتفتةً إلى بوني): هات خمسمياية يا بووني.

بوني: هه؟ حاضر.

باسم (متناولًا المبلغ من يد بوني): تسلم يا بركة (ثم بدأ يعدُّ الأوراق المالية) الله واحد، ما لوش تاني، تلاتة، أربعة، خمسة. بكرة الصبح العقود تبقى جاهزة.

شريفة: أنا ما باصحاش الصبح. ابعتهم لي على شقتي أحسن، والعنوان ما يتوهش؛ أربعة شارع أوغلي أغا الدور "الساتت". ولو لقيتني نايمة سيبهم لي مع البت لواحظ الخدَّامة بتاعتي.

باسم: خلاص يا أستاذة اتفقنا، بس ابقي وصِّي البت لواحظ تحضَّر لي فطار "أوريانطال".

غادرَت شريفة وعريسها الخرونج محيط القهوة بخطواتٍ سريعة؛ وكأنهما يحاولان الإفلات من ظل الطاقة السلبية التي تسكن المكان. وبينما كانت أصداء ضحكات الزبائن تتلاشى خلفهم أخرج باسم تليفونه المحمول، تأمَّل الشاشة للحظات، ثم ضغط على زر الاتصال.

باسم: صباح الجمال على عم الأسطوات. باقول لك يا عنبة عاوزك تفوِّل بعشرين جنية علشان توصَّلني المنصورية عند فيلا المعلم جمعة بصبوص تاجر المخدرات المعروف. تعالى وهاروَّق عليك بحتة من اللي قلبك يحبها.

جلس باسم في مكتب المعلم جمعة بصبوص؛ حيث امتزجَت رائحة البخور برائحة القهوة المتصاعدة من الفناجين. كان المعلم جمعة يرتدي جلبابًا أبيض بلون شعره الذي كلَّل رأسه كالهالة وعباءةً بنيةً اكتسبَت لون السجَّادة الممتدة تحت قدميه وتزيَّنَت بخيوطٍ ذهبية. أمسك المعلم بمسبحته، يُدوِّر حبَّاتها ببطء كمن يعدُّ اللحظات بهدوءٍ وسكينة. تناول تمرةً برفق؛ وكأنما يتذوق حلاوة الدنيا في لقمةٍ صغيرة، ثم رشف من كوب اللبن بجرعاتٍ خفيفةٍ قبل أن يرفع عينيه نحو باسم ويبدأ حديثه بصوتٍ تغلِّفه الخنشرة.

جمعة: شوف يا متر، أنا عندي بدل المحامي عشرة من أكبر المحامين في البلد.

باسم: واخترتني أنا من وسطهم؟

جمعة: لأ طبعًا.

باسم: لعلمك أنا اشتغلت "أوفيس بوي مانيجر" في مكتب الأستاذة فريدة أوديب.

جمعة: مين؟

باسم: أنا كنت باترافع معاها في قضية جاسوس "الوتن" علَّام علَّام.

جمعة: شوف يا أستاذ، أنا مش هاخبِّي عليك، أنا جبتك لإنك محامي فستك.

باسم: ولزومه إيه بس الكلام دا يا معلِّم جمعة؟ على فكرة أنا خريج معهد خدمة اجتماعية بتقدير مقبول مع مرتبة الشرف، وما احبش اتكلم عن نفسي كتير.

جمعة: ما تتحمقش قوي كدا يا جدع. شوف أنا هاخش في الموضوع على طول.

باسم: اتفضَّل يا معلِّم.

جمعة: الواد سرياقوسي دراعي اليمين جالي كلام انه شغَّال لحساب عدوِّي اللدود والمنافس بتاعي في سوق البودرة راسخ بطرمان.

باسم: حلو، وبعدين؟

جمعة: اتأكدت بنفسي إن سرياقوسي طلع خاين وخسيس، وعشان كدا وزِّيت عليه صبي من صبياني حط له كيلو بودرة في شقته، وهوب الحكومة طبَّت عليه بعد بلاغ من مجهول.

باسم: يعني هو الأخ سرياقوسي اتمسك متلبِّس وانت عاوزني أجيب له براءة؟

جمعة: بالعكس أنا عاوزه ياخد تأبيدة. أمَّال أنا جبت محامي خروء ليه؟

باسم: ليه؟

جمعة: علشان يحرَّم يعض الإيد اللي اتمدِّت له.

باسم: طيب، هي الجلسة إمتى؟

جمعة: بعد يومين.

باسم: أنا كنت محتاج وقت ادرس القضية.

جمعة: جرى إيه يا أستاذ؟ هتزعَّلني منك وتعمل لي فيها "أبوكاتو" بحق وحقيق؟ (مناديًا على أحد صبيانه) ولا يا بيجا.

بيجا (ناظرًا إلى باسم بتبريقةٍ جعلَته يذوب خوفًا): أوامرك يا معلِّمي؟

جمعة: أبِّج الأستاذ خمس بواكي وما تنساس الواجب بتاعه.

باسم: إيه دا؟ معقول اسمك بيجا وانت اللي هتأبِّجني؟ ما شاء الله عليه أليف، زي الكنجر بالظبط.

جمعة (لباسم): عرفت هتعمل إيه؟

باسم: عيب يا معلِّم، إنت بتكلِّم محامي عتيد.

بيجا (وهو يعطي باسم النقود): خد يا كابتن، آدي خمس بواكي، وآدي واجبك: تشكيلة المزاج العالي والكيف السلطاني.

باسم: ألف شكر يا أستاذ بيجا، نجاملك في الأفراح.

جمعة (يعطي الملف لباسم وهو يتهيَّأ للمغادرة): استنَّى، دا ملف القضية يمكن تحتاجه.

باسم: وما له؟ مش هيخسَّر برضه.

جلس باسم في غرفة نومه المنكوشة ذات الأثاث القذر والمضاءة بضوءٍ أبيض خافتٍ صادرٍ من لمبة فلورسنت قديمة. تربَّع على السرير كأنه ملكٌ في مملكته الصغيرة، وأمامه كانت تنتشر الأوراق النقدية التي حصل عليها من المعلم جمعة بصبوص. وفي يده زجاجةٌ من الجعَّة محلية الصنع، وعلى الطاولة بجانبه ترك الحقن وأكياس البودرة التي لم يبخل على جسده بها، وسرى خدرها في عروقه؛ ليزيل عن عقله كل عبءٍ ويفتح أمامه أبواب الوهم.

لم تكن الأفكار تهمُّهُ في تلك اللحظة، بل فقط ذلك الإحساس الخفيف الذي يملأ رأسه ويجعله يحلّق بعيدًا عن كل شيء. في الخلفية كانت إحدى أغاني المهرجانات الهابطة تصدح من مكبِّر الصوت، كلماتها الصاخبة والهابطة اجتاحت المكان كإعصار. كان باسم يردِّد صرخات الأغنية بصوتٍ مبحوحٍ متقطِّع، يغنِّي كأنه في حفلةٍ صاخبة، متناسيًا العالم من حوله، ومتجاهلًا الذوق والحياء. كان يغرق في بحرٍ من اللذة المزيَّفة، يبتعد أكثر فأكثر عن ذاته الحقيقية، بينما يمتلئ الجو برائحة الكحول والمخدَّرات وصوت المهرجانات الذي لا يرحم.

وفجأةً رنَّ جرس الهاتف المحمول بين زجاجات الخمر وورق البفرة وأصابع الحشيش الخام. نظر باسم إلى شاشة الهاتف، ولكنه لم يستطع قراءة اسم المتصل بسبب ما خلَّفَته المخدرات والخمور من أثرٍ على وعيه. أجاب باسم على الاتصال بعدما أسكت الصوت الصادر من مكبِّر الصوت.

باسم: وبعدين في أم الفصلان دا؟ آلو، أيوه يا مدام شريفة. لأ، انساكي ازاي يا نجمة؟ ودا معقول برضه؟ بس حصل لي ظرف مفاجئ كدا؛ جدتي اتوفِّت عقبال أولادك واضطريت انزل البلد علشان نودِّيها للعجلاتي، قصدي للحانوتي؛ أصلها ماتت مقتولة. لأ، مش هاغيب خالص؛ يومين تلاتة بالكتير والعقود المبلولة تبقى جاهزة معاكي. سلامي للأخ بوني.

أغلق باسم الخط ثم بدأ يغنِّي: "ما تصدَّقوش يا بنات إن الجواز راحة". أحيه، أنا اللي محتاج شوية راحة. آه عاوز انام يا بنات.

وفي اليوم المحدَّد للجلسة وقف المعلِّم جمعة في قاعة المحاكمة أمام قفص المتهمين حيث يقف سرياقوسي بجوار بعض المتهمين الآخرين. وقف بيجا من خلف المعلم جمعة وبدا عليه التوتر الزائد بسبب رؤية زميله السابق في العمل خلف القضبان.

جمعة (لسرياقوسي): أنا عملت بأصلي وقوِّمت لك أكبر محامي في البلد.

سرياقوسي: خيرك سابق يا معلِّم.

بيجا: محامي الغبرة اتأخَّر قوي يا معلِّم والجلسة خلاص هتبدأ.

جمعة: طب ما تكلِّمه كدا تشوفه في آني داهية.

بيجا: كلِّمته كذا مرة ما بيردش.

جمعة: لو ما جاش يبقى هو الجاني على نفسه، أنا ما حدش يستغفلني في مليم احمر.

جاء باسم من خلفهما وبدا عليه الإرهاق من أثر المخدَّرات التي تناولها بكثرةٍ خلال اليومين الماضيين. كان يرتدي عباءةً حريمي سوداء وعلى كتفه شالٌ حريمي من الصوف الأخضر.

باسم: "بونجور" يا معلم.

جمعة: إيه اللي انت لابسه دا يا أستاذ؟

سرياقوسي: هو دا اللي انت جايبه يترافع عني؟ جايب لي باسم اصطباحة؟

جمعة: إنت تعرفه؟

سرياقوسي: جيت له من سنتين علشان يكتب لي ورقة جواز عرفي على البت شريفة طراوة.

جمعة: ربنا يفك سجنك يا سرياقوسي يا ابني.

قام المعلّم جمعة بجذب باسم من يده ليجلس بجواره في الصف الأماميّ، بينما جلس بيجا في الصفوف الخلفية.

جاء الحاجب وقال: "محكمة" بصوتٍ عالٍ مما أصاب باسم بالخضة. ووقف الحضور احترامًا للسادة القضاة، وعندما جلس القضاة في أماكنهم جلس الجميع عدا باسم الذي ظلَّ واقفًا للحظاتٍ حتى جذبه المعلّم جمعة ليجلس عنوة.

القاضي: نادي على القضية الأولى.

الحاجب: قضية رقم ٢٠٢٤/٢٢٣، المتهم السرياقوسي كمال أبو شفتورة.

القاضي: النيابة تحب تضيف حاجة على حيثيات القضية؟

وكيل النيابة: لا يا فندم، أنا باكتفي بمحضر الشرطة وشهادة الشهود وتقرير المعمل الجنائي.

باسم: أنا أعترض.

القاضي: إنت مين يا أستاذ ومين أذن لك تتكلم؟

باسم: باسم كباكا البتنجاني المحامي بالنقد والإستنزاف ومجلس أمن الدولة.

القاضي: تشرَّفنا يا سيدي.

باسم: الله يخليك يا باشا. إزيك يا قاضي؟

القاضي: أنت هتهزَّر يا أستاذ؟ احترم نفسك.

باسم: أنا حاضر عن المتهم سامباسوسي السريالوسي.

القاضي: وكمان مش عارف اسم موكِّلك؟ دي حاجة عظيمة خالص.

باسم: عشت يا كبير المقام.

القاضي: اتفضل يا أستاذ، عاوز تقول إيه بقى؟ اشجينا.

باسم: سيدي القاضي، حضرات "المشتشارين"، كلنا فاسدون ولا أستثنَّى منكم أحدًا؛ لأن الوقت كاللباس المسلوت، وإذا رأيت أسنان الليث بارزةً فلا تحسبنَّ الصدفة أخير من ألف ميعاد. إن القضية التي بين أيدينا اليوم في غاية البساطة والوضوح، ولكنها في نفس الوقت قضية في غاية التعقيد، ولا تمس الرأي العام فقط بل تمس مبادئ البيروقراطية في جميع الأمم المتحدة ومجلس التعاون الخريفي. إن هذا المتهم الماثل أمامكم كالحمل الوضيع بريء براءة الذئب من دم ابن ميمون.

القاضي: إنت عاوز تقول إيه يا أستاذ؟ خش في الموضوع على طول.

باسم: المتهم بريء حتى تثبت إدانته حسب القانون المصري الحديث، ومش بس القانون المصري؛ لأ، عندك القانون الصربي، القانون "البنجلاتيشي" والقانون الكاميروني. المتهم اتمسك باتنين كيلو بودرة، بس مش يمكن البودرة دي تكون بودرة حامونيل؟

القاضي: حامونيل إيه يا أستاذ؟ تقرير المعمل الجنائي مكتوب فيه هيروين.

باسم: بجد؟

القاضي: إنت ما قريتش ملف القضية والا إيه يا أستاذ؟

باسم: لا انا قريت الملف طبعًا، بس تقريبًا بدل ما اقرا كلمة هيروين قريتها قطونيل. هو سعادتك يعني ماسك لي ع الواحدة؟ ما غلطناش في البخاري يا حضرة العمدة.

القاضي: انت لو فضلت تقول كلام فارغ بالشكل دا أنا هاحبسك ٢٤ ساعة، مفهوم؟

باسم: أنا عاوز اسأل يا ريس: هل فيه قانون في مصر بيعاقب بتوع الدليفري؟ الإجابة لأ، ودا ليه؟ لإن بتوع الدليفري بيشتغلوا شغلانة شريفة وبيكسبوا من عرق جبينهم. موكِّلي يا رياسة بيشتغل بتاع دليفري.

القاضي: دليفري إيه؟

باسم: موكِّلي عنده مكنة حلاوة بيسترزق منها. يوصَّل فاكهة، سمك، بتايز والذي منه. حظه الوحش ان المعلِّم جمعة بصبوص طلب وجبة فراخ مشوية ومعاها رز بسمتي. وفعلًا موكِّلي وصَّل الأوردر لفيلا المعلِّم جمعة بصبوص اللي في المريوطية. المعلِّم جمعة بصبوص إدَّى لموكِّلي حساب الأوردر وفوقيهم "التوبس" بتاعه وطلب منه يوصَّل كيس هيروين للمعلِّم راسخ بطرمان. وعلشان كده باطلب منكم جميعًا إنكم تنظروا بعين الرأفت لموكِّلي وتحويل أوراقه للسيد مفتي الديار في أقرب فرصة. والسلام عليكم ورحمة الله.

القاضي: خلَّصت يا أستاذ؟

باسم: أنا خلَّصت خلاص، وانت يا معلم؟

القاضي: إيه المرافعة العظيمة دي؟

باسم: إنت قاضي بتفهم على فكرة.

القاضي: الحكم بعد المداولة.

باسم: يعني اروَّح؟

القاضي: لأ، إنت هتستنَّى معانا شوية. دا انت ضيفنا النهارده يا راجل.

باسم: حبيبي ربنا يخلّيك، والله ما لوش لزوم تكلّف نفسك، كفاية "شندويشتين" "فاهيطا" في السريع.

خرج القاضي من قاعة المحكمة متوجِّهًا إلى غرفة المداولة بصحبة السيد وكيل النائب العام، بينما ذهب باسم بخطواتٍ بطيئةٍ ليجلس مكانه بجوار المعلّم جمعة وهو ينظر للمعلّم نظرة زهوٍ وتكبُّر.

جمعة: إيه الهباب إلي انت قلته دا؟

باسم: على فكرة المرافعة عجبت القاضي قوي.

جمعة: الله يخرب بيتك يا شيخ؛ ودِّيتني في داهية يا ابن العبيطة.

باسم: دا انا كنت باعمل لك دعاية. طب إيه رأيك ان القاضي وبتاع النيابة هيبقوا زباينك؟ وابقى شوف كدا.

الحاجب: محكمة.

القاضي: حكمت المحكمة حضوريًّا على المتهم السرياقوسي كمال أبو شفتورة بالسجن خمسة عشر عامًا مع الشغل والنفاذ.

باسم: يحيا العدل.

القاضي (وهو يخبط بمطرقته على الطاولة): كما نأمر بضبط وإحضار كلٍّ من المدعو جمعة بصبوص والمدعو راسخ بطرمان وإدراجهما على قوائم الممنوعين من السفر لحين التحقيق معهما.

جمعة: الله يخرب بيتك يا محامي الشوم زي ما خربت بيتي. أنا مش هاسيبك وهاخلّيك تندم على اليوم اللي اتولدت فيه (وأتى اثنان من أمناء الشرطة وقبضا على جمعة).

القاضي: وحبس الأستاذ باسم كباكا البتنجاني ٢٤ ساعة، وكذلك نوصي بوجوب خضوعه لتحليل المخدَّرات، وفي حالة ثبوت إيجابية العيِّنة يتم عرضه على السيد وكيل النائب العام لتولِّي التحقيق معه. رُفِعَت الجلسة. (ثم قام اثنان من أمناء الشرطة بالقبض على باسم).

باسم: وهتحبسني ليه؟ هي مش المرافعة عجبتك؟ طب و"شندويشتات" "الفاهيطا" اللي وعدتني بيها؟

أمين الشرطة: من غير تحليل اقطع دراعي لو التحليل ما طلعش إيجابي.

باسم: أيوه، انا إيجابي غصبٍ عن أي حد.

أمين الشرطة: أنا اقطع دراعي لو انت محامي أصلًا.

باسم (وقد رنَّ الهاتف المحمول الخاص به): دقيقة واحدة يا باشا أرد على الموبايل، أيوه يا مدام شريفة قوِّمي لي محامي وحياة أبوكي. أنا لا محامي ولا نيلة. بتقفلي السكة في وشي؟ أنا كمان هاقفل السكة في وشك. الله يحرقك انت وبوني في يوم واحد.

أمين الشرطة: مش باقول لك انت شكلك مش محامي؟ أنا نظرتي ما تخيِّبش.

باسم: أنا ما اسمحلكش. أنا ساقط تانية اعدادي ترم أول. أنا هاتصل بالأستاذة فريدة أوديب تيجي تحبسكوا كلكو. أنا باسم كباكا البنتجاني، أنا محامي الأنس والفرفشة، أنا محامي غصبٍ عنكم يا بشر.